اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

آمال البنا

سعد الدين الشاذلى
القائد.. الأسطورة

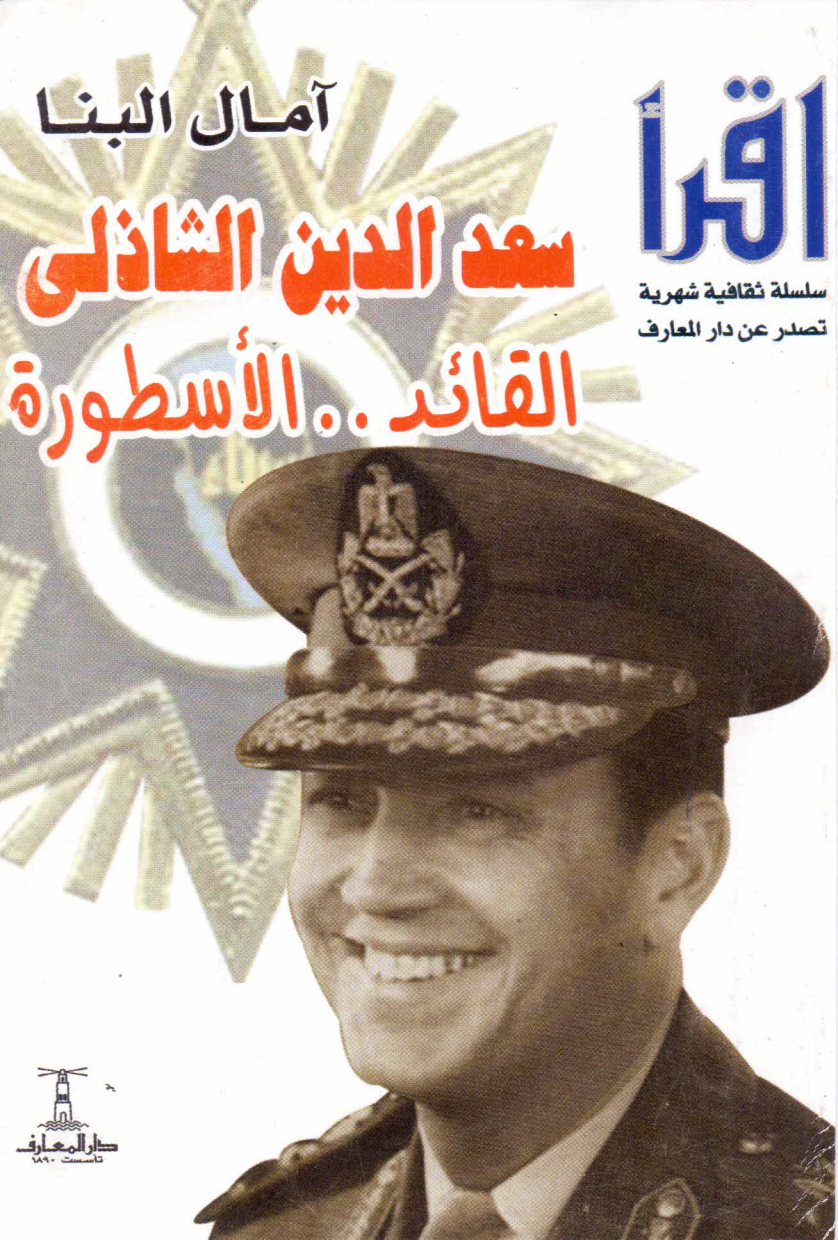

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

هذا الكتاب يحكى مشوار حياة الفريق سعد الشاذلى - رئيس أركان حرب الجيش المصرى الأسبق وقائد أول حرب عربية منتصرة فى التاريخ العربى الحديث - الذى لقب بالبطل الأسطورة لأنه كما كان بطلا فى مواجهة الأعداء فى ميدان القتال .. كان أيضا بطلا فى مواجهة الظلم الذى وقع عليه من الأنظمة المتعاقبة فى وطنه مصر ومحضن بطولاته ! ليصبح بذلك أول ضابط مصرى يحمل رتبة الفريق ويزج به فى السجن ظلما وبهتانا ! فزاده الظلم شهرة على شهرته! وفى كل الحالات - منتصرا أو مهزوما - عاش الفريق " سعد الشاذلى" مشوار حياته الخاصة و العسكرية رجلا فذا .. ورتبت له الأقدار تكريما خاصا فى يوم رحيله؛ فرحل يوم تغيير التاريخ فى مصر وودعه ملايين المصريين بصلاة الغائب فتحول وداعه - الذى تزامن مع يوم انتصار ثورة ٢٥ يناير - إلى احتفال شعبى كبير! لتؤكد لنا الأيام أن الفريق "سعد الشاذلى" صورة للبطولة الحقيقية فى أزماته وانتصاراته!

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠
http://gate.dar-elmarf.com
٤٠٨٣٨٢/٠١

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف
[٧٦٦]

رئيس مجلس الإدارة

كمال محجوب

رئيس التحرير
حمزة عبد الصادق
مدير التحرير
عصام عبد الجليل

هيئة التحرير
ياسر محمد على
على محمد حاج
نرفانا محمود
د. أحمد عفيفى
سحر حسن
رشا رأفت

مدير تنفيذى
محمد البحيرى

مدير فنى
أماني والى
عصمت أحمد

مشرف فنى
شريف رضا

تصميم الغلاف
أيمن القاضى

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع النظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ — فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ — E-mail: maaref@idsc.net.eg

آمال البنا

الفريق سعد الدين الشاذلى
القائد الأسطورة

http://gate.dar.elmarf.com

اقرأ

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها، لم يفكروا إلا في شيء واحد، هو نشر الثقافة من حيث هي ثقافة، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية. وأن ينتفعوا، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التي نحياها.

طه حسين

أحلام شهرزاد - العدد الأول من سلسلة اقرأ الشهرية صدر عام ١٩٤٣

إهـــــداء

إلى شعب مصر العظيم أُهدى هذا العمل الوطنى تحيةً إلى واحدٍ من أبطال مصر الأفذاذ.. البطل الفريق سعد الدين الشاذلى.

آمال البنا

تنويه

الوقائـع التـى وردت بالكتاب مأخـوذة من روايات أسـرة الفريق الشـاذلى (كريماته وأحفـاده) ،وروايات لبعض ضباط القوات المسـلحة ممن عاصروا الفريق «سـعد الشاذلى» وعملوا تحت قيادته.كما تم توثيق الأحداث بمادة صحفية أرشـيفية تتناول تغطيـة الأحداث الهامة فى حياة الفريق «الشـاذلى» ، بمراجعة اللواء د/ إبراهيم شكيب كما شارك فى المراجعة التحريرية المهندس/ وائل صلاح حسـين أما صور الكتاب فمهداة من أسرة الفريق الشاذلى وبعضها من الأرشيف الصحفى. ولم يرد فى هذا الكتاب ما يُعد من الأسرار العسكرية المحظور نشرها.

آمال البنا

سيرة الفريق سعد الدين الشاذلى

• ولد الفريق سعد محمد الحسينى الشاذلى فى إبريل ١٩٢٢م الموافق ٦ربيع الأول ١٣٣٢ هجرية فى قرية شبراتنا - بسيون - بمحافظة الغربية.

• اسم الشهرة / سعد الدين الشاذلى.

• تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٤١م .

• خدم فى الحرس الملكى برتبة ملازم أول فى الفترة من ١٩٤٣م حتى ١٩٤٩م، شارك أثناءها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ م ضمن سرية من الحرس الملكى بأمر من الملك فاروق فى ذاك الوقت.

• شارك مع الضباط الأحرار فى التحضير لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

• مؤسس وقائد أول فرقة قوات مظلات فى مصر من ١٩٥٤م حتى ١٩٥٩م وشارك خلالها فى حرب العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م.

• قائد أول قوات عربية موحدة فى الكونجو، ضمن قوات الأمم المتحدة خلال عام ١٩٦١م.

• عمل ملحقا حربيا لمصر فى لندن من ١٩٦١م حتى ١٩٦٣م .

• قائد لواء مشاة فى حرب اليمن من ١٩٦٥م حتى منتصف١٩٦٧م.

• قائد قوات المظلات والصاعقة من ١٩٦٧م حتى ١٩٦٩م.

• قائد منطقة البحرالأحمرالعسكرية من١٩٧٠م إلى منتصف ١٩٧١م.

• تولى رئاسة هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية من١٩٧١م حتى ١٩٧٣م فى عهد الرئيس أنور السادات وكان الشاذلى هو العقل

المدبـر لخطـة العبور فى حـرب أكتوبـر ١٩٧٣م فأطلقـوا عليه «بطل أكتوبر».

• اختلـف أثنـاء حرب أكتوبـر ١٩٧٣م مع السـادات حول خطة مواجهة ثغرة الدفرسـوار فأبعده عن مصر وعينه سفيرا لمصر بالدرجة الممتازة فى لندن خلال عامى ١٩٧٤م و ١٩٧٥م.

• عمل سـفيرا لمصر فى البرتغال لمدة ثلاث سـنوات فى الفترة من ١٩٧٥م حتى ١٩٧٨م سطر خلالها أشهر كتبه «مذكرات حرب أكتوبر» وأصدرت السـلطات المصرية ضده حكما غيابيا بالسـجن ثلاث سنوات ظلما بتهمة إفشاء أسرار عسكرية فى كتابه.

• أحيل للمحاكمة بتهمتى نشر كتاب مذكرات أكتوبر بدون موافقة مسـبقة، وإفشاء أسـرار عسـكرية فى الكتاب، وأنكر الشاذلى التهمة الثانية لأنها كانت أسـرار حكومية وليسـت عسـكرية ومع ذلك حُكم عليه بالسجن ثلاث سنوات.

• عاش فى الجزائر قرابة أربعة عشر عاما منذ ١٩٧٨ حتى ١٩٩٢م وكان للفريق الشـاذلى هناك أنشطة ثقافية ما بين إلقاء محاضرات وعقد مؤتمرات كما أنشـأ جريدة الجبهة فـى الجزائر، واقتنى هناك مكتبة تتجاوز نحو ٥٠٠ كتاب تضمنت عناوين فى كافة المناحى.

• عـاد إلى مصر فى مارس ١٩٩٢م فى عهد الرئيس حسـنى مبارك لينفذ عليه الحكم بالسـجن ثلاث سنوات بدون إعادة للمحاكمة بسبب إصـداره مذكراته عـن حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وقد أثـارت قضيته كافة

منظمات حقوق الإنسان والعفو الدولية وتدخلوا للدفاع عنه، وتم تخفيف العقوبة بعد تطبيقها إلى عام ونصف العام، ليصبح الشاذلى أول ضابط فى تاريخ الجيش المصرى يحمل رتبة فريق وتطبق عليه عقوبة السجن.

• من أشهر مؤلفاته «مذكرات حرب أكتوبر»، «٤ سنوات فى السلك الدبلوماسى»، «الخيار العسكرى الاستراتيجى»، «الحرب الصليبية الثامنة».

• رحل عن دنيانا عن عمر يناهز ٨٩ عاما وودعته مصر فى يوم تاريخى إبان ثورة ٢٥ يناير فى ١١ فبراير ٢٠١١م متزامنا فى نفس يوم تخلى الرئيس مبارك عن منصب رئيس الجمهورية وتنحيه عن الحكم.

• منحته مصر وسام «نجمة الشرف العسكرية» بعد رحيله فى ٢٠١١م تقديرا لأدواره البطولية فى خدمة وطنه مصر.

• وافق المسئولون – فى نفس العام ٢٠١١م – بعد رحيله على نشر كتابه «مذكرات حرب أكتوبر فى مصر» ،الذى كان ممنوعا من التداول فى مصر من قبل.

• فى ٤ أكتوبر ٢٠١٢م أصدر الرئيس محمد مرسى بمناسبة احتفالات أكتوبر قرارا بمنح الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان الأسبق قلادة النيل تقديرا لدوره التاريخى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م. (وكان ذلك آخر تكريم من مصر لابنها البطل سعد الشاذلى حتى صدور هذا الكتاب).

• أهدت السيدة (شهدان الشاذلى) مذكرات والدها الفريق سعد الشاذلى عن حرب أكتوبر إلى مكتبة الإسكندرية بمناسبة احتفالات أكتوبر ٢٠١٢م.

• أطلقت القوات المسلحة اسم الفريق الشاذلى على المحور الدائرى الذى يربط مدينة العبور بمدينة الحرفيين بالقاهرة.

الفريق «سعد الشاذلى» هو القائد الحقيقى الذى خطط ونفذ العبور العظيم وأدار المعارك فى حرب السادس من أكتوبر١٩٧٣م، إنه أسطورة حاول الحاقدون عليه تشويهها ، غير أنهم فشلوا واختفوا وظل الفريق «سعد الشاذلى» حاضرا بقامته الفذة وبطولاته الإنسانية والتاريخية.

الكاتب الكبير الأديب / جمال الغيطانى

قالوا عنه

• كان رجـلا نموذجيا فى كل شـىء، وصاحب عقليـة متفردة فى الدقـة والانضباط والتفكير المنظم، وكانت له قـدرة بارعة على الإقناع تفوق التصور.

المؤرخ العسكرى اللواء د. إبراهيم شكيب

• كانـت لـه قدرة خاصة فى تحويل أى فكـرة إلى واقع، وتحويل الحلم إلى حقيقة فى زمن قياسـى وبأقل تكلفة، لكنه كان عنيدا وشديد التمسك برأيه فى كثير من المواقف لثقته الكبيرة بنفسه.

اللواء أشرف راشد

• تميـز بالإبداع القيادى فى إدارة الأزمـات والطوارئ خاصة بعد نكسـة ١٩٦٧م وأثنـاء حرب الاسـتنزاف، وصعوده فـى الترقى كان لكفاءته النادرة وتميزه.

اللواء جمال مظلوم

• تعـرض الفريـق «الشـاذلى» لظلم عظيـم من الأنظمة (السـادات ومبـارك) وتم إقصـاؤه من مصر أرض بطولاته فزاده الظلم شـهرة على شهرته وخلده التاريخ.

لواء/محمد التميمى

• إن الإعداد الدقيق غير المسـبوق لحرب أكتوبر ١٩٧٣م يحسـب للفريق الشاذلى، ولن يغفل التاريخ دوره العظيم فى نصر أكتوبر المجيد.

الفريق يوسف عفيفى

قبل الرحلة

أروع الأحداث هى تلك التى تصنعها لنا الأقدار، ففى حبكة درامية خارقة تحدت كل الإبداعات الخياليـــة أخرجت الأقدار اللقطة الأخـــيرة فى حياة البطل الفريق «ســـعد الشـــاذلى» متزامنة مع الإعلان عن رحيل الرئيـــس مبارك عن الحكم وتخليه عن رئاســـة الجمهورية فـــى نفس يوم ١١فبراير ٢٠١١ م، وأثناء انـــدلاع ثورة ٢٥ يناير عندما قـــدَرالله تعالى مصيرالظالم والمظلـــوم فى يوم واحد! وكان يـــوم الجمعة يوما تاريخيا لكل المصريين يوم احتفالهم بنجاح ثورة ٢٥ يناير فى إســـقاط رأس النظام (مبارك) والتى أطلق عليها الثوار جمعة الرحيل، فتحول وداع البطل الفريق «سعد الشـــاذلى» إلى احتفال شعبى كبير يليق بمكانته التاريخية فى مصر والعالم العربى، شـــارك فيه ملايين المصريين بصلاة الغائب «للشاذلى» الذى عاش حياته محاربا من أجلهم.... يا سبحان الله.

وأثار دهشـــتى فى هذا المشهد المهيب أن الملايين التى هتفت مطالبة بســـقوط مبارك، هى نفســـها التى رفعت أكف الضراعة فى نفس اليوم تطلب من الله تعالى فى صلاة الغائب الرحمة «للشـــاذلى» وهو فى طريقه إلى مثواه الأخير فـــى الدنيا! فأعادت هذه اللقطة «المعجزة» إلى ذاكرتى لقطـــة أخرى لاتقل عنها روعة لازالت منقوشـــة فـــى ذاكرتنا الوطنية

بحروف النصر وهى لحظة التفاف الجنود والضباط حول قائدهم الفريق «سعد الشاذلى» على خط النار يعانقونه بفرحتهم العارمة بالنصر يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣م ويهتفون «للشاذلى» بنجاح خطته.

حرصت على تسجيل مشوار حياة الفريق «سعد الشاذلى» الخاصة والعسكرية ليس باعتباره واحد من أبرز القادة العسكريين فى التاريخ المصرى الحديث وحسب، ولكن لأنه كان بمواصفاته العسكرية والإنسانية حالة خاصة من البشر! وقائدا عسكريا من الطراز الأول، شهد بكفائته القادة العسكريون على اتساع العالم، بعدما سطر بشجاعته فى ميادين القتال صفحات فخار من تاريخ مصر، كما تميز بصلابته فى مواجهة تحديات الحياة فما كان يعبأ بالأزمات ولا تهزمه التحديات؛ إذ كان يتمتع بقدرة خارقة فى تحويل الهزائم والأزمات إلى انتصارات حتى بلغت نشاطاته الثقافية والاجتماعية ذروتها فى سنوات الغربة والظلم الذى زاده شهرة على شهرته، وتحولت وقتها قضية ظلم «الشاذلى» إلى قضية قومية صال فيها وجال الرأى العام، بعدما أصبح بدخوله السجن فى وطنه منتصرا، أول ضابط فى تاريخ الجيش المصرى برتبة فريق يدخل السجن ظلما وبدون محاكمة وكانت جريمته وطنيته وحبه لبلاده.

ومن المواقف العظيمة التى سيحسبها التاريخ للبطل الفريق «الشاذلى» أنه فى الوقت الذى حكمت عليه السلطات فى مصر بالسجن وحرمانه

مــن حقوقه المدنيــة والقانونية وهــو بعيد عن وطنه، تســابقت بعض الأنظمة العربية لاستقطابه للاستعانة بعبقريته العسكرية والإنسانية لصــالح بلادهم لكنــه رفضها جميعها لأنه كان يعتــز بمصريته ويدين بولائه لوطنه مصر.

دفعنــى كل ذلك أن أكتب للتاريخ قصة حياة هذا البطل العظيم قائد أول حــرب عربية منتصرة فى التاريخ العربــى الحديث، البطل الذى ظلمتــه الأنظمــة وأنصفه التاريــخ، وعاش رمزا وطنيــا جليلا لأجيال مضت وأجيال أخرى ســتأتى، وما أكثر ما كتب من مؤلفات عن الفريق الشــاذلى بعد رحيله لذا حاولت فى هذا الكتاب أن أختار زاوية أخرى جديدة هى حياته الخاصة مع أســرته ، وأســطر لقطات من حياته فى منفاه المختار بالجزائر، كما حاولت أن أتجاوز أسوار محبسه فى فترة ســجنه لأعرف كيــف كان بطلا فى غربته ومحبســه كما كان بطلا فى ميدان القتال، لأكشــف عن عبقريته الإنسانية لتكتمل بذلك جماليات الحقيقــة، ولأجعــل من أوراق هذا الكتاب تحيــة إلى ذكراه وباقة على قــبره اعتذارًا عما لاقاه مــن بطش وظلم فى وطنه وموطــن انتصاراته، فالكتابة عن أبطال مصر شــرف وطنى أفتخر به. وســيظل اسم الفريق «ســعد الشــاذلى» قيمة وقامة عالية وعلامة مضيئة فى ســجل التاريخ العسكرى العربى ودُرة فى جبين مصر.

آمال البنا

طفولة الشاذلى بين شبراتنا والقاهرة

قبل أن يلملم الليل عباءته المظلمة ليفسح لخيوط النهار الجديد أن تضيء قريته «شبراتنا»، كان «سعد الشاذلى» تلميذ الابتدائى ينتظر زملاء دراسته على قارعة الطريق، فإذا ما اكتمل عددهم تولى قيادتهم إلى حيث مدرستهم الابتدائية فى «بسيون» التابعة لمحافظة الغربية والتى كانت تبعد عن بلدتهم بما يزيد على ٧ كيلومترات كان عليهم أن يقطعوها سيرا على الأقدام ذهابا وإيابا!

وجاء اختيار الصغار لزميلهم «الشاذلى» للقيام بهذه المهمة لمهارته فى التقدير الدقيق للمسافات وتحديد الزمن اللازم لقطعها بدقة خلال رحلة عنائهم اليومى فى طرق متربة غير ممهدة كانوا يدلفون فيها من طرق ضيقة وقصيرة إلى طرق أطول منها يتبعون «الشاذلى» حتى يصلوا إلى الحقول، وهناك كانوا يسلكون وراءه طريقا مختصرا على أحد جانبيه الحقول وعلى الجانب الآخر قناة ضيقة، يتبعونه فى حذرشديد خوفا من أن تنزلق قدم أحدهم فيسقط فى المياه، وهم يحملون أحلام مستقبلهم البعيد كتبا ثقيلة فى حقائبهم حتى يصلوا إلى بداية الطريق الرئيس المؤدى إلى «بسيون» حيث مدرستهم ليلحقوا بطابور الصباح فى موعده المبكر مع بداية كل يوم دراسى.

ولم يدر «الشـاذلى» - الصغير فى هذه السـن المبكرة (٨سنوات) - أن قيادته لرفاقه إلى المدرسـة تكشـف عن قدراتـه الفطرية على قيادة المجموعات بمهارة، وشـغفه بمواجهة المخاطـر وحبه للمغامرة، وأن مـا يواجهه من عنـاء فى رحلته اليومية من وإلى المدرسـة سيكسـبه خبراتـه الأولى فى مواجهة صعوبات الحيـاة والتدرب على تحديها، حتى تعلم «سـعد الشـاذلى» فى هذه المرحلة المبكرة من عمره أن طريق النجاح محفوف فى أغلب الأحيان بالمخاطر ولا يصلح معه الانسـحاب أو التراجع، لأن النجاح فى نهاية كل عام كان جائزة عظيمة تسـتحق العناء الذى يواجهونه كل يوم.

جاء ميلاد «سـعد الشـاذلى» فى إبريل ١٩٢٢م، وكانت مصر وقتها تمـوج بأحداث سياسـية كثـيرة تحت احتـلال بريطانـى جاثم على المصريـين. وأتاحت الظروف العائلية فى بيت أسـرته فرصته للتعرف إلى الأحوال السياسـية فى البلاد، فاللقاءات الاجتماعية المتكررة التى كانت تنعقد فى بيت والده « محمد الحسـينى الشـاذلى» وكان من كبار الأعيـان فى بلدته «شـبراتنا» كانت تضم بعض أقاربـه وأصدقاء والده وأعيـان بلدته فى لقاءات ودية أسـبوعيه منتظمة فيما يشـبه المنتدى الاجتماعـى، تدور فيـه الأحاديث حول الأوضاع السياسـية والحراك الثورى الذى كان يدور فى البلاد آنذاك.

وكان «الشـاذلى» الصغير شـغوفا بمجالس الكبار مسـتمعا بينهم، يلتقـط مـن حواراتهم ثقافته السياسـية الأولى التى كانت تنبه حسـه

الوطنى خاصة بعد معرفتــه الجذور الوطنية لعائلته، فجده لأبيه كان قد استشهد محاربا مع قوات إسماعيل باشا فى السودان، وبعض أقاربه كانوا مع ثوار ثورة عرابى ضد الخديو والإنجليز، فكان لهذا الكشــف لجذوره العائلية أثر فى تشكيل وجدانه الوطنى، لينتقل بمرور الوقت بفكــره الجديد إلى عالم الكبــار وأحلامهم الوطنية لمصــر، فما انقضت ســنوات طفولته الأولى بانتهاء دراســته الابتدائية بنجاح إلا وكان قد تعلم من لقــاءات الكبار حب مصر ومعنى التضحيــة من أجلها، ليبدأ مرحلــة جديدة من حياتــه ينتقل فيها إلى التعليم الإعــدادى بالقاهرة بعيــدا عن بلدتــه وأهله، ليصنع نجاحه بنفســه فــى أول تجربة مع الغربة.

سنة أولى وطنية

فــى القاهرة هيأ له والده حياة طيبة، تســهل عليه غربة صبى ابن الثانية عشرة، وتساعده على النجاح خلال سنوات متتالية فى انتظاره كان عليــه أن يقضيهــا فى التعليم الإعــدادى والثانــوى (التوجيهى) بالقاهرة. وســاعده مــا كان يتميز به من الانضبــاط والالتزام الجاد فى دراســته على تحمل مسئوليته الدراسية والشخصية بنجاح عاما وراءه أعوام حتــى أنهى تعليمــه الإعدادى وانتقــل إلى التعليــم التوجيهى (الثانوى).

وعلـى عكس اهتمامات الفتيان فى هذه المرحلة المبكرة من أعمارهم ،كان «الشاذلى» شغوفا بالقراءة ينفق مصروفه الشخصى فى شراء الكتب السياسـية ليعكف علـى قرائتها، وينهل من مؤلفـات الكاتب (محمد حسـين هيكل) ومقالاته السياسـية فـى مجلة مصر الفتـاة ،ومقالات الكاتب إحسـان عبد القدوس فى مجلة روزاليوسف التى كانت توصف وقتها بالمقالات النارية لما كان لها من تأثير فى إشعال وجدان المصريين وتبصيرهـم بما يدور فى وطنهم من أحداث، وغيرها من القراءات التى أضافت إلى شخصية «الشـاذلى» نضجا مبكرا، وأشعلت وجدانه الوطنى تجاه الأحوال السياسية التى كانت عليها مصر آنذاك عام ١٩٣٦م.

وفى إحدى الإجازات التى كان يترقبها الطلاب المغتربون عن بيوت أسـرهم، عاد «الشاذلى» من القاهرة ليقضى إجازته الأسبوعية بين أهله وأسرته فى بلدته «شبراتنا» ليجد مفاجأة فى انتظاره.

❑❑❑

مصر فى قلوب المصريين

لم ينس «سعد الشاذلى» طالب الثانوى تلك الإجازة التى عاد فيها إلى «شبراتنا» سعيدا يحمل إلى أسرته نتاج قراءاته وثقافته السياسية الجديدة التى ستفسح له مكانا فى مجالس الكبار، وبينما كان عقله يسترسل فى توقعاته وهو يسرع الخطى نحو بيت أبيه إذا بالبيت وقد أضيئت أنواره واكتظ بالناس فى مظهر ينبئ بانعقاد المنتدى الاجتماعى الأسبوعى فأسرع الخطى ليفسح لنفسه مكانا بين الحاضرين.

ولما وصل إلى البيت وجد «عبد السلام باشا الشاذلى» ابن عم والده الذى كان يشغل منصب مدير مديرية البحيرة (محافظ البحيرة) يتوسط الحاضرين! وكان رجلا مهيبا اشتهر بين أهله وعزوته بمواقفه الوطنية المشرفة، وكان بحكم عمله يحمل فى كثير من الأحيان أخبارا سياسية تهم الجميع، مما أضفى أهمية لوجوده فى منتدى بيت «الشاذلى» فى ذاك اليوم. كان «عبدالسلام باشا» يروى فى زهو عن جرأته فى تحدى السلطات الحاكمة ورفضه الاستجابة لتنفيذ ما يتعارض مع مصلحة وطنه مصر، والكل يستمع إلى روايته فى انتباه شديد ويشعرون بالفخر لشجاعته ووطنيته، وهم يتطلعون إليه بطلا من عائلة الشاذلى يدافع عن أهل وطنه فى جرأة وتحد ، وكانت مثل هذه المواقف تصيب «سعد الشاذلى» فى هذه المرحلة المبكرة من عمره بالإبهار وتنبت فى عقله حلم

البطولة. ولكن للأسف لم تدم فرحة آل الشاذلى لساعات حتى أتت رياح الأحداث بما لا يشتهيه أهل «شبراتنا» خاصة عائلة الشاذلى ،عندما دفع «عبد السلام باشا الشاذلى» ثمن جرأته فى الدفاع عن الحق وتحديه للسلطات الحاكمة التى أحالته فى اليوم التالى إلى المحاكمة التأديبية.

وكانت الصدمة كبيرة على أهل «شبراتنا» بصفة عامة، وعلى عائلة «الشاذلى» بصفة خاصة، إذ كانوا يخشون مما تحمله الأيام القادمة من توقعات لعقوبات تؤثر على منصب «عبد السلام باشا» فى عمله، الذى كان يُعد فى عيون الجميع بطلا من قريتهم صنع بشجاعته مثلا أعلى لشباب «شبراتنا» وعزوة وطنية عاشوا فى ظلها.

وانتهت إجازة «سعد الشاذلى» دون أن يعرف بنتيجة المحاكمة التأديبية لعمه ليعود إلى دراسته فى القاهرة قلقا حول المصير المجهول الذى ينتظر «عبدالسلام باشا» ، كل ذلك كان يدفع بالطالب «سعد الشاذلى» أن يعبرعن إحساسه وغضبته الوطنيه بمشاركته فى مظاهرات الطلبة ضد الاحتلال والسلطات الموالية له حتى أصبحت السياسة هوايته،وهو يستعجل الأيام أن تمر لتأتيه بالإجازة التى سيعود فيها إلى مجالس الكبار فى بيت والده ليحكى لهم عن دوره الجديد فى مظاهرات القاهرة.

ودارت أيام الدراسة دورتها لتأتيه بأيام الإجازة التى كان يترقبها، وما إن وصل «سعد الشاذلى» إلى بيت والده حتى وجد نفس المشهد ونفس الزحام الذى شاهده من قبل، جمع من الحاضرين يتوسطهم عمه «عبد السلام باشا»،هذه المرة كانوا يتفحصون أوراقا هامة ويتبادلونها بفرحة

فيما بينهم، وعمه يروى لهم مزهوا - كعادته مفاجآت محاكمته التأديبية.

كانت المفاجأة أنه بعد استعراض «عبد السلام باشا» أمام مجلس التأديب للحجج والبراهين التى تؤيد وجهة نظره فى انحيازه لصالح بلاده، إذا بالمجلس التأديبى يبدى إعجابه الشديد بآرائه، ويشيد بوطنيته حتى أعلن المجلس التأديبى اقتناعه الكامل بوجهة نظر «عبدالسلام باشا»! ولم يكتف المجلس بتبرئته بل ترجم إعجابه بوطنيته فى حيثيات الحكم الصادر لصالحه فى أوراق رسمية وزعها « عبد السلام باشا» على الحاضرين ليقرأوها فى سابقة هى الأولى من نوعها وشعور بالفخر يلف الجميع.

الشاذلى يعيد إلى عائلته شهرتها العسكرية

كان لهذه الواقعة أثر عظيم فى نفس «سعد الشاذلى» ولم تفلح السنوات التالية التى قضاها فى دراسته الثانوية أن تمحو تأثير هذه الواقعة من ذاكرته، وتمنى وقتها لو يُسعده المستقبل بمنصب كبير يقابل موقع عمه «عبد السلام باشا» لينال شرف البطولة فى نصرة وطنه وينال من ورائها شعبية خاصة بين أهل بلدته وعشيرته فى «شبراتنا».

ونجح بالفعل الطالب «سعد الشاذلى» أن يحقق أول خطوة لطموحاته بنجاحه فى الحصول على شهادة التوجيهية (الثانوية العامة) ليفسح بنجاحه مكانا مميزا فى قلب والده الذى تحمس لالتحاقه بالكلية

الحربيـــة مصنع الرجـــال وطموح الأبطـــال، يدفعه الأمل فـــى أن يصبح ابنه « ســـعد» يوما ما واحدا من هؤلاء الأبطال العسكريين الذين يغيرون ببطولاتهم تاريخ الشعوب والبلاد، وترجم والده فرحته بإسراعه بتسديد مصروفـــات الالتحـــاق بالكلية الحربيـــة والتى كانـــت مرتفعة فى ذاك الوقت، مكافأة لابنه «سعد» الذى أعاد لعائلته صلتهم بالحياة العسكرية من جديد، والتى كانت قد انقطعت بانكســـار ثورة عرابى وســـقوط مصر تحت الاحتلال البريطانى. وأصبح «الشاذلى» أصغر طلاب الكلية الحربية فى ١٩٤٠م وعمره ١٧ عاما. ليقضى عاما ونصف العام فى دراسته بالكلية الحربية حتى تخرج منها فى عام ١٩٤١م برتبة ملازم.

ونجح الملازم «ســـعد الشـــاذلى» أن يحظى بشـــهرته العسكرية بعد تخرجه عندما واتته الفرصة التى شارك فيها مقاتلا فى الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤١م مع القوات المصرية والبريطانية فى مواجهة القوات الألمانيـــة فى الصحراء الغربية بمصر، وعندمـــا صدرت الأوامر للقوات المصرية والبريطانية فى هذه المواجهة بالانســـحاب شارك «الشاذلى» مع الضبـــاط والجنود فـــى تدمير المعدات المتبقية فى وجـــه القوات الألمانية المتقدمـــة آنـــذاك، وكان لهذا الحـــدث صدى كبير فـــى الجيش المصرى جعلت «الشاذلى» يضع أقدامه على أول طريق شهرته العسكرية مع أول حرب شـــارك فيها بعد التخرج، فى أول تواجـــد له فى ميدان القتال. فماذا كان ينتظر الملازم«سعد الشاذلى» فى مشواره العسكرى القادم؟

الشاذلى.. ضابطا بالحرس الملكى

تعتبر مرحلة الأربعينيات من المراحل الهامة فى الحياة العسكرية والخاصة للملازم أول «سعد الشاذلى»، ففى عام ١٩٤٣م التحق بالحرس الملكى - مشاة - منتدبا من القوات المسلحة مع النخبة المتميزة من الضباط المكلفين بحماية (الملك فاروق) وحماية القصور الملكية والحفاظ على أمنها فى الفترة من ١٩٤٣م : ١٩٤٩م حدث خلالها الكثير من الأحداث السياسية تزامنت مع تطورات أخرى فى الحياة الخاصة للملازم أول «سعد الشاذلى».

فعلى الجانب الشخصى وتحديدا فى منتصف الأربعينيات بدأ «الشاذلى» حياته الزوجية مع زوجته (زينات السحيمى) التى تنحدر من عائلة عسكرية، فوالدها هو متولى باشا السحيمى الذى كان مديرا للكلية الحربية آنذاك، وأشقاؤها الضباط محسن متولى فى سلاح الحدود، و فايز متولى بسلاح الإشارة، وسعد متولى الذى أصبح كبير الياوران فيما بعد.

بدأ الملازم أول « سعد الشاذلى» حياته الزوجية بمسكنه بحى العباسية، مجاورا زميله الضابط جمال عبد الناصر فى نفس العمارة التى ضمت أسرتيهما معا، وأنجب «الشاذلى» خلال السنوات الأولى

من زواجه طفلته الأولى (شـهدان) وبعد ثلاث سـنوات جاءت (سامية) وفرح «الشاذلى» بزيادة عدد أسرته بزهرتى عمره (شهدان وسامية).أما زوجته (زينات) فكانت تتمنى لو أسعدتها الأيام بإنجاب الولد، وكانت تخشـى ألا تحقق لها الأيام أمنيتها، ودفعها الأمل فى تحقيق أمنيتها إلى تكرار محاولة الإنجاب للمرة الثالثة، واختارت للمولود المرتقب اسم (طارق) وأعدت ملابسه وترقبت وصوله حتى جاءت اللحظة المرتقبة.

وبينما كان «الشـاذلى» يستقبل المهنئين بميلاد مولوده الثالث كانت زوجتـه «زينات» تبكـى حظها العثر الذى لم يأتهـا بمولودها طارق، وجاءت بدلا منه مولودتها (ناهد) ليرتفع بمجيئها عدد بنات «الشاذلى» إلى الرقم ٣ (شـهدان وسامية وناهد)، وتجاوز «الشاذلى» الأب بفرحته وفكره الواسـع كل العـادات القديمة فى تمييز الصبيـان عن البنات، وحاول أن يسـاعد زوجته فى التغلب على حزنها، فوعدها أن يُنشـئ بناته تنشـئة خشـنة ويقوم على إعدادهن إعداد الرجال، حتى تحظى زوجته فى المستقبل بثلاث نساء يحملن صفات الرجال التى تمنتها فى الولد الذى لم تسـعدها الأيام بإنجابه،فحرص «الشـاذلى» على تدريب بناته على الاعتماد الكامل على أنفسـهن فى مواجهة صعوبات الحياة ليسلكن مسلك الرجال عندما يشتد عودهن للحياة.

وفى منزلهم بالعباسـية عاشـت أسرة «الشاذلى» سـنواتها الأولى، وربطت بينها وبين أسرة جارهم الضابط (جمال عبد الناصر) الذى كان

يقطن الطابق الأعلى علاقات طيبة بعدما تقاربت أعمار الصغار (أبناء الشاذلى وأبناء عبد الناصر) وتزاملوا فى دراساتهم فى مراحل تعليمهم المختلفة وزادت روابط الجيرة من توطيد العلاقات بين الأسرتين. (رواية شهدان الشاذلى)

الشاذلى يكشف أسرار حرب فلسطين

فى القصر الملكى، حيث عمل الملازم أول «سعد الشاذلى» وتحديدا فى نوفمبر١٩٤٧م، كانت أجواء القصر يشوبها بعض القلق والتوتر بعد إعلان الأمم المتحدة عن تقسيم فلسطين، وكان لهذا الإعلان وقع المفاجأة الصادمة لكل الدول العربية ومصر، فبادر الملك فاروق بالدعوة لعقد مؤتمر عربى يضم ملوك ورؤساء الدول العربية فى منطقة (أنشاص) بمصر، واتفقوا فى المؤتمر على إرسال كتائب عربية موحدة من جيوش الدول المشاركة (العراق، الأردن، سوريا، السودان، لبنان، مصر، اليمن، وباقى الدول العربية) لإرسالها لقتال اليهود فى فلسطين تعبيرا عن رفضهم لقرار التقسيم اعتبارا من ١٥ مايو ١٩٤٨م، ووقتها وحدت حرب فلسطين بين العرب فى أروع صور الوحدة وراء هدف واحد هو القضاء على اليهود فى فلسطين، وتصورت القيادات العربية واهمة فى ذاك الوقت بحساباتها النظرية ،أن النصر للعرب لا محالة، إذ كانوا يعتقدون وقتها بأن اليهود فى فلسطين مجرد عصابات يمكن للجيوش العربية إبادتها عند أول مواجهة وبأدنى خسائر.

وفورعلم الملازم أول «سعد الشـاذلى» بقرار مشاركة مصر فى حرب فلسطين، أسرع بمقابلة عاجلة مع (القائمقام) العقيد حلمى عبد الرحمن رئيس الحرس الملكى، ولكن لم تمض من المقابلة إلا لحظات حتى ارتفع صـوت العقيد حلمى عبـد الرحمن ينهـر «الشـاذلى» ويعنفه، فخرج «الشاذلى» من مكتبه وأمارات الغضب تعلو وجهه فما الذى حدث أغضب الاثنين الشاذلى والعقيد حلمى؟

كان العقيد حلمى عبد الرحمن قد فوجئ بأن «الشاذلى» بدافع الحمية العربية طلـب إعفاءه من الخدمة فى الحرس الملكى ليذهب متطوعا مع القوات المصرية للحرب فى فلسطين، فرفض العقيد حلمى مطلبه وعنفه خوفا عليه، إذ كيف لضابـط فى مكانه المميز بالحرس الملكى أن يطلب الاستقالة من موقعه ليواجه أهوال الحرب والموت المحقق وسط نيرانها فى فلسطين والتى لا يعلم عواقبها إلا الله تعالى.

فأصاب «الشـاذلى» الإحباط ،بعد رفض مطلبه الذى أضاع منه فرصة بطولتة المرتقبة التى كان يتمنى أن يحققها فى فلسـطين، لكنه فوجئ بعد هذه المقابلة بسـاعتين بأن رئيس الحـرس الملكى يعلن عن موافقة (الملك فاروق) بانضمام سـرية من الحرس الملكـى إلى الجيوش المصرية المحاربة فى فلسطين فكانت مفاجأة رائعة «للشاذلى» لم يصدق لحظتها أن أمنيتـه التى فقد الأمل فى تحقيقها منذ سـاعات قد عادت لتتحقق بأسرع مما توقع! وصدرت الأوامر بتجهيز سرية ملكية متطوعة خلال ثلاثة أيام فقط، وقام الشـعب المصرى بتوديعها فى موكب اسـتعراضى

رائع، جابت فيه السرية الملكية شوارع القاهرة من ميدان عابدين حتى محطة القطار الذى سيقلهم إلى فلسطين.

أسرار هزيمة الجيوش العربية فى حرب فلسطين

وفى ميدان القتال هناك فى فلسطين، وأثناء معركة دير ياسين ومعركة نيتا ليم، فوجئ «الشاذلى» والجيوش العربية المشاركة بعدم التكافؤ بين القوات العربية وقوات اليهود، وعكس توقعاتهم اكتشفوا أن جيش اليهود أقوى من الجيوش العربية مجتمعة والتفاوت بينهما هائل فى العُدة والعدد، وكانت المفاجأة أشد على «الشاذلى» عندما اكتشف فى ساحة القتال أن ما تعلمه فى الكلية الحربية كان تعليما نظريا على الورق، لم يتدرب فيه على القتال بما يكفى مواجهته لليهود فى هذه المعركة، حتى الأسلحة العربية كانت بدائية مقارنة بأسلحة اليهود، ذلك بالرغم من تميز العرب بسلاح الطيران وافتقاد الجيش اليهودى له، إلا أن التفوق فى هذه الحرب كان لليهود.

وعاد الشاذلى من فلسطين حزينا، يستعيد فى ذهنه تفاصيل المعركة وانشغل عقله بمزيد من التحليل لأسباب الهزيمة التى أرجعها إلى الخبرة القتالية التى اكتسبها جيش اليهود من اشتراكهم مع جيوش الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية بهدف التدريب العالى فتوافرت لديهم قدرات قتالية عالية لم تتوفر لجيش العرب، فكانوا يستخدمون

نظامـا قتاليـا منظما لم تتدرب عليـه الجيوش العربية مـن قبل، إلى جانب أسلحتهم ومعداتهم القتالية الحديثة، كما توافرت لهم الدراسة الكاملـة الدقيقة لإمكانيات الخصم العربـى الضعيف فى ذاك الوقت، لكل هذه الأسباب كان النصر والغلبة لليهود فى حرب فلسطين ١٩٤٨م.

إلى جانب أن الـدول العربية كانت وقتها تحت الاحتلال الأجنبى الذى وضع قيودا عليها، وانعكست هذه القيود على إعدادها لجيوشها، فانحصـرت مهمة الجيـوش العربية داخـل بلادها لحمايـة الحكام والأنظمـة الحاكمـة فقط ولم تكـن مهمتها الحروب مـع دول أخرى، وبالتالى لم يتم إعدادها الإعداد اللازم لمثل هذه المواجهات الشرسـة فى الحـروب، بالإضافـة إلى أن الدول العربية كانـت تعتمد فى حصولها على السـلاح بنسبة كبيرة من السوق السوداء التى كانت تبيع مخلفات الحروب أيا كانت حالة الأسـلحة المباعة، ولم يكن للمشـترين العرب الحق فى تجريب هذه الأسـلحة لاختيار الأفضل من بينها، وفى نفس الوقت لم يكن أمامهم بدائل أخرى فكانوا مضطرين لشراء المعروض منها مهما كانت حالته، هذه الأسـباب كانت وراء ما أشـيع حول الأسلحة الفاسـدة التى كان فيها قدر كبير من المبالغـة فكيف للعرب بما كانوا عليه أن يأتوا بالنصر فى حرب فلسطين آنذاك؟

وانتهى عمل النقيب «سـعد الشاذلى» فى الحرس الملكى مع نهايات عـام ١٩٤٩م، ليبدأ مـع حلول أوائل الخمسـينيات مرحلة جديدة من حياته العسكرية قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م.

الشاذلى يرتب مع عبد الناصر لثورة يوليو:

كانت علاقة الجيرة التى جمعت بين «الشاذلى» وعبد الناصر فى عمارة واحدة بحى العباسية بالقاهرة قد قربت بينهما المسافات، وكذا تزاملهما فى التدريس بمدرسة الشئون الإدارية بالقوات المسلحة، واهتمامهما المشترك بالقراءات السياسية لكبار الكُتاب . وكانت مصر فى هذه الآونة تموج بأحداث عنيفة منها حريق القاهرة، الذى أدى إلى زيادة العنف والاضطراب فى الشارع المصرى وأشعل بدوره الغضب فى نفوس المصريين، وأصبحوا رافضين ما يدور فى وطنهم من ظلم وفى نفس الوقت غير قادرين على تغييره، و كان «الشاذلى» وعبد الناصر يعيشان نفس مشاعر الغضب التى كانت تعيشها مصر كلها، وبسبب الثقة التى كانت بين «الشاذلى» وعبد الناصر صارحه عبد الناصر بأنه يرتب مع ضباط التنظيم السرى (تنظيم الضباط الأحرار) لثورة قد تكون سببا فى تغيير التاريخ فى مصر، فتحمس «الشاذلى» للانضمام إليهم وكان يحضر اجتماعاتهم السرية ويرتب معهم خطوات تنفيذها، إلا أن ظروفه الدراسية وقتها حالت دون مشاركته فى قيام ثورة يوليو بسبب الدورة التدريبية التى كان يتلقاها فى كلية أركان حرب وللأسف تزامنت مع قيام الثورة.

وبعد ثورة يوليو ١٩٥٢م بدأت مصر عهدا جديدا، ووقتها طلب عبد الناصر من «الشاذلى» أن يتولى رئاسة جهاز المخابرات، لكن

«الشـــاذلى» رأى أن موقعه فى الجيش كان يناســب طموحه العسكرى، وكان حبة للخدمة فى صفوف الجيش لا يعادله أى منصب.

وانتقل كل منهما (عبدالناصر والشـــاذلى) بأســـرته إلى مســـكن آخر تاركـــين وراءهما ذكرياتهما التى جمعتهما فى حى العباســـية، وظلت صداقتهما ممتدة تحمل فرص تعاون مرتقبة فى المستقبل القريب.

الشاذلى قائدًا لكتيبة المظلات

كان الرائد « سعد الشاذلى» طموحا فى عمله ،يتمتع بعقلية إبداعية متفـردة كانت تقـوده دائمـا إلى التميز، لهذه الأسـباب جاء ترشـيحه للسـفر إلى الولايات المتحدة عـام ١٩٥٣م ليتلقى هناك دورة تدريبيـة فـى المظلات لم يسـبقه إليهـا إلا الضابط حسـن فهمى عبد المجيـد، فجاء هذا الاختيار موافقا لطموحات «الشـاذلى» فى التعرف إلى المجتمع الغربى، وهنـاك لم يجد صعوبة فى التكيف مع المجتمع الأمريكى إذ كان وقتها مجتمعا بسيطا يستوعب الغرباء مما سهل على «الشـاذلى» أن يقطع رحلته التعليميـة بنجاح – دورة القفز بالمظلات – التى وافقت شـغفه بالمخاطرة وركوب الخطر، فالقفز بالمظلات مخاطرة جسـيمة والمهمة فيها انتحارية يهبط فيها فى عمق أرض العدو لتنفيذ مهمة تدميرية هناك مدتها ٢٤ سـاعة فقط، ويعتمد خلالها على نفسه اعتمـادا تاما حتى تلحق به قواته البريـة، وقد يتعرض خلال مهمته لمخاطـر كثيرة، فقد يتم ضرب الطائرة التى سـيهبط منها قبل هبوطها فى أرض العدو، وقد لا يتمكن من فتح المظلة أثناء هبوطها، وقد يتأخر وصول القوات البرية إليه فلا تصل فى الوقت المناسب فتنفد منه الأغذية والذخـيرة فيواجه وحده مصيرا مجهولا على أرض العدو، وقد يقع فى

يد العدو فيأسره أو يقتله، وغيرها من المخاطر التى ترفع نسبة المخاطرة فى سلاح المظلات، لذا كانت دورة المظلات تجربة مثيرة للرائد «سعد الشاذلى» فى ذلك الوقت. بعدها عاد «الشاذلى» من أمريكا ليؤسس أول مدرسة للمظلات فى الجيش المصرى وتولى قيادة أول كتيبة منها فى عام ١٩٥٤م.

الأقدار تفوت على «الشاذلى» فرصة القفز بالمظلات:

وتوالت الأحداث لتواجه مصر حرب العدوان الثلاثى من إنجلترا وفرنسا وإسرائيل فى عام ١٩٥٦م التى جاءت رد فعل مباشر لقرار تأميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦م انتقاما من عبد الناصر! وكان المقدم «سعد الشاذلى» وقتها قائدا لكتيبة ٧٥ مظلات، وصدرت الأوامر العسكرية أن يستعد سلاح المظلات للهبوط فى سيناء خلف العدو وقت الفجر، وبينما كان «الشاذلى» يستعد للإقلاع سبقته قوات العدو وضربت مطاراتنا المصرية بما فيها الطائرة التى كانت ستحمل «الشاذلى» إلى أرض العدو لتنتهى بذلك مهمته قبل أن تبدأ، وأصبح لزاما عليه أن ينضم إلى سلاح المشاة ليتحول دوره إلى صد العدو ومنع دخوله مدينة السويس.

وبانتهاء حرب ١٩٥٦م انتهت مرحلة هامة من الحياة العسكرية للمقدم «سعد الشاذلى» ليبدأ بعدها مراحل أخرى جديدة أكثر أهمية

تزامنت مع التغيرات فى العلاقات السياسية بين مصر والدول العظمى. فبعدمـا أدرك الرئيس عبدالناصر أن حصوله على الأسـلحة لن يتم من خلال أمريكا حليفة إسرائيل، اضطر إلى الاستعانة بالاتحاد السوفييتى فى تسـليح الجيش المصرى وتدريب قادته تنفيذا لسياسة تنويع مصادر الأسلحة.

بعثة دراسية للشاذلى فى روسيا

تقرر سـفر المقدم «سـعد الشـاذلى» فى ١٩٥٨م فى بعثة دراسية إلى الاتحاد السـوفييتى لدراسة العلوم العسـكرية الحديثة هناك ليعكس التعاون العسـكرى الجديد بين مصر وروسـيا. فماذا وجد من فرق بين تدريـس العلوم العسـكرية فى الاتحاد السـوفييتى للعـرب عنها فى أمريكا؟ يجيب «الشاذلى» عن هذا السؤال فى واحد من حواراته المسجله فيقول:

«فى دراسـتى للمظلات فـى أمريكا كنت الضابـط المصرى والعربى الوحيـد بين الدارسـين من جنسـيات أخـرى، وكانت هنـاك بعض المحاضـرات لايسـمح لى بحضورها لأنى عربى، بعكـس ما حدث مع الاتحاد السـوفييتى فكان الفارق كبيرا إذ تعددت بعثاتنا إلى روسـيا، وكانـت البعثة الواحدة لا تقـل عن ١٠٠ دارس مصـرى (فصل كامل) وكلهـم من القادة العسـكريين فى الجيش المصرى، وفـى نفس الوقت

كانت مصر تستقبل بعثات الخبراء العسكريين الروس ممن يتولون إعداد قادة الجيش فى مصر، وكانت هذه البعثات تعالج مشاكل عليا فى تنظيم قواتنا المسلحة بفروعها، وكذلك كانت جدية روسيا فى تقديم خبراتها ونظرياتها العسكرية الحديثه يعكس جديتها فى مساعدة مصر، ولكن هذه المساعدات كانت تتم كلها فى إطار الفكرالعسكرى المصرى والتنظيم المصرى وكل ما يتعلق بجيشنا كان مصريا متأثرا فقط بالخبرات والنظريات الحديثة للسوفييت، حتى استطاعت مصر أن تبدأ مرحلة الستينيات من القرن العشرين بقوة عسكرية جديدة».

هذا على مستوى الحياة العسكرية للشاذلى، ولكن كيف كان يعيش حياته الخاصة مع أسرته فى بيته فى هذه الآونة؟

❑❑❑

ثلاثة رجال فى بيت «الشاذلى»

كانت الشخصية العسكرية للمقدم «سعد الشاذلى» تنعكس على كل جوانب حياته حتى فى بيته ومع أسرته، فلم ينس وعده لزوجته أن ينشئ بناته الثلاث (شهدان وسامية وناهد) تنشئة خشنة، لتحمل شخصياتهن بعض صفات الرجال عوضا عن ولد واحد تمنت زوجته إنجابه يوما ما، فحرص على إعداد بناته للحياة إعدادا خاصا يسمح لهن باكتساب مهارات مختلفة عن أقرانهن من البنات، فرأى أن تزويدهن بكل المهارات الممكنة سيعينهن على مواجهة الصعوبات التى قد تعترض طريقهن فى رحلة الحياة معتمدين على أنفسهن حتى يكتسبن شجاعة الرجال، فعلمهن الدفاع عن أنفسهن وقت الخطر، وتدبير أحوالهن دون اللجوء إليه حتى فى أبسط الأمور! فكان يتخلى عنهن فى مواقف كثيرة فى محاولة لإجبارهن على الاعتماد على أنفسهن دون الاعتماد على رتبته العسكرية لتذليل عقبات قد يتعرضن لها.

وتحكى ابنته شهدان الشاذلى عن علاقة «الشاذلى» الأب ببناته فتقول:

«حدث بعدما تسلمت أختى الوسطى (سامية) شهادتها الإعدادية أن اكتشفت خطأ فى اسمها المطبوع فى الشهادة، فطلبت من والدى

أن نرافقها إلى مدرستها ليساعدها في إجراءات تسجيل اسمها في المدرسة ولكن أبي رفض مطلبها وتركها تنهي وحدها الإجراءات الطويلة التي امتدت لأيام، وكان في إمكانه أن ينهيها من أول يوم أو استجاب لمطلبها وذهب معها، ولكنه تعمد رفض مطلبها حتى تعتمد (عامية) على نفسها في كل شيء.

وحرص منذ طفولتنا الأولى أن يدربنا على التخلي عن مظاهر الحياة الترفة، ويعلمنا تحمل مسئولياتنا الشخصية كاملة منذ الصغر، حتى إن المصروف الشهري لكل منا كان يشمل (انتقالات، ملابس، فسح، معاملات الصديقات، مصروفات الدراسة و... و...) فإذا ما أسرفت إحدانا في إنفاق مصروفها الشهري، فعليها وحدها تدبر أحوالها لآخر الشهر دون مساعدة من أحد أو زيادة في المصروف تعوضها عن خسارتها.

وأصبح بيتنا تحت إدارة أبي الدقيقة وكأنه ثكنة عسكرية، كل شيء يدور داخله بدقة محسوبة والوقت قيمة كبيرة، وكان أبي يفاجئنا في كثير من الأحوال بتفتيش دواليب ملابسنا لمراجعة ترتيبه وتنظيمه وكذلك كتبنا وأدواتنا الدراسية، يراجع كل شيء ويعاقب على التقصير حتى لو كان كما كان يفعل مع جنوده، فإذا ما وجد أي مخالفة لتعليماته التي وضعها لإدارة البيت يكون العقاب فوريا بحرماننا من لقائنا الأسبوعي بصديقاتنا.

وعلى هذا النحو أصبح «الشاذلى» الأب لا يختلف عن «الشاذلى» الضابط، فكان يضع لكل شيء يخص أسرتنا خطة دقيقة لتنفيذها حتى فى قضاء إجازتنا الصيفية فى الإسكندرية التى كان يحرص على أن يقضيها معنا، وكان يوزع مهام إتمام السفر فيما بيننا، ما بين مد الرحلة عن حقائب السفر، وأخرى عن الاتفاق مع السيارات التى ستنقلنا إلى الإسكندرية، وأخرى تسبق الأسرة للإشراف على تجهيز وإعداد مكان الإجازة، وهناك كان أبى يضع خطة دقيقة تسمح باستغلال الوقت الاستغلال الأمثل ما بين تدريبنا على الرماية باستخدام بنادق الرش، وبين المسابقات التى كان يجريها فيما بيننا فى الجرى والسباحة وسباق الدراجات.

وتستطرد شهدان الشاذلى فى روايتها فتقول:

لم يغفل والدى أن يقيس مهاراتنا فى طهى الأطعمة داخل منزلنا وذلك برغم وجود الخدم والمساعدين بالبيت، فكان يجرى فيما بيننا مسابقات الطهى فإذا ما وجد أن الوجبة موضوع الاختبار تفتقر للمذاق المناسب يوقع الجزاء بالحرمان من الفسحة الأسبوعية، وأضافت الأم إلى ثلاثتنا (شهدان وسامية وناهد) الكثير من المهارات النسائية فى الاهتمام بأناقة المظهر ومهارات الضيافة ومسايرة الحياة الاجتماعية وتعلم الموسيقى والباليه.

وكانت لوالدى القدرة على استشراف المستقبل، فلما وجد أن المؤشرات الدولية تنبئ بأن دولة ألمانيا قد تصبح فى المستقبل القريب قلعة للصناعة الأوربية فى ذاك الوقت، اختار لثلاثتنا التعليم الألمانى لمواكبة ما سيجد فى سنواتنا المقبلة من تحديات، وكانت مدرستنا الألمانية فى حى باب اللوق وسط البلد، فكان والدى يطلب من كل منا تحديد الوقت الذى سنستغرقه فى الذهاب إلى المدرسة بدقة، فإذا ما جاء يوم الامتحان وصلنا فى الوقت المناسب إلى المدرسة دون تأخير» إلى هنا انتهت رواية شهدان الشاذلى ولكن لازال فى حديثها رواية أخرى عن تجربتها الخاصة التى أرجعت الفضل فيها لوالدها.

من أجل ابنته: الشاذلى ينشئ أول مدرسة لتعليم الفتيات القفز بالمظلات

ونقلا عن رواية أخرى لشهدان الشاذلى جاء فيها:

إن أسرة الشاذلى (زوجته وبناته) حضرن الاحتفال الذى أقيم فى منطقة السباق بمصر الجديدة وذلك فى نهاية الخمسينيات، وعندما لاحظ «الشاذلى» الأب بذكائه انبهار ابنته (شهدان) ابنة الخامسة عشرة (بخارقة) قفز الجنود بمظلاتهم فى الهواء وهبوطهم على الأرض فسألها وقتها إن كانت ترغب فى تعلم القفز بالمظلات، فأصابها الإبهار مرة أخرى من أن أمنيتها يمكن أن تتحول إلى حقيقة فأجابت على الفور: ياريت. بالرغم من أنها كانت وقتها تهوى الباليه.

ولأن «الشـاذلى» كان يتميز بقدرتـه الخاصة على تحويل الفكرة إلى واقع ملموس بأسـرع مما يتوقع الجميع، استطاع أن ينشئ أول مدرسة للبنات لتعلم القفز بالمظلات وكان وقتها قائدا لمدرسـة المظلات بالقوات المسـلحة. وكانت شـهدان وقتها تلميذة بالمدرسـة الألمانى، حين عاد إليها والدها بعد أيام قليلة ليفاجئها بأن حلمها البعيد بالقفز بالمظلات سيصبح بعد أيام حقيقة وأنها ستقفز يوما بمظلتها من الهواء إلى الأرض كما تمنت، وعليها أن تجهز نفسها خلال ٢٤ ساعة للالتحاق بمدرسة المظلات، وأوصاها أن تسـارع بالحصول على أسـبوع إجازة من المدرسة للإعـداد والتدريب، ولكن مديرة المدرسـة وقتها رفضـت الموافقة على إجازة شـهدان ورفضت أيضا التحاقها بمدرسة المظلات لخطورتها على البنـات، وكانت هذه هى المرة الأولى التى اضطر فيها «الشـاذلى» الأب إلى التدخل لتسـهيل حصول ابنته على إجازتها المطلوبة وسـاعدها فى إقناع مديرة المدرسـة بمساواة البنت والولد فى كل شىء حتى فى القفز بالمظـلات وهكذا حصلت ابنتـه على الإجازة، وكان فـى ذلك محاولة جريئـة من الشـاذلى أعلن فيها عن مقاومته للتمييـز بين الولد والبنت والذى كان سائدا فى المجتمع المصرى آنذاك.

كانت شـهدان هى أصغر البنات السبعة اللاتى دخلن عالم المخاطرة والمغامرة فى مدرسة القفز بالمظلات، وأخفى «الشاذلى» الأمر عن زوجته حتى لايصبح خوفها على (شهدان) عائقا يحول دون تحقيق حلمها فى تعلم القفز بالمظلات.

ولما بدأت شهدان تدريباتها مع تجربة القفز فى الهواء شغرت بالمسافة الكبيرة بين الحلم والحقيقة، ففى كل مرة كان خوفها من النتائج يزداد عن المرة التى تسبقها، ووالدها من ورائها يدفعها ويشجعها حتى تغلبت على الخوف وتعلمت الحذر والدقة فى حساب المسافات أثناء هبوطها فى الهواء، كيفية حماية جسمها من الصدمات لحظة نزولها على الأرض، والطريقة المُثلى فى تجميع أطراف مظلتها وتفاصيل أخرى كثيرة ومثيرة، جعلتها تعيش تجربة خاصة ومميزة، كان الفضل الأول فيها لوالدها «سعد الشاذلى».

وفى ذكرى الاحتفال بثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٦٠م، كان الاحتفال بتخريج أول فرقة لبنات المظلات بحضور الرئيس جمال عبد الناصر، وفى لحظة فخر أمام والدها وأسرتها ورئيس الجمهورية قفزت (شهدان) على أرض نادى الجزيرة من ارتفاع ١٥٠٠ متر لتصبح بذلك أول فتاة عربية تقفز بالمظلات، وحظيت يومها بمصافحة الرئيس عبدالناصر الذى قام بتسليمها نوط التفوق، جائزة خاصة لتجربة فريدة فى مشوار حياتها، ولولا ثقافة «الشاذلى» الأب وفكره المميز الذى تجاوز به تقاليد عصره، وقدرته الخاصة على تحويل الأمانى إلى واقع، لما حظيت (شهدان) من بين بنات عصرها بتلك التجربة الفريدة التى تمت بحماس والدها «سعد الشاذلى» الذى كان حالة خاصة جدا من الآباء

الشادلي يحدث أزمة دبلوماسية في الكونغو

إستطاعت مصر بمساعدة السوفييت أن تبدأ مرحلة الستينيات من القرن العشرين بقوة عسكرية جديدة أشعرت الرئيس عبدالناصر بقدرته على مواجهة التحديات الخارجية خاصة بعد أن نال شهرة كبيرة في زعامته للأمة العربية بعد مساندته للثورات التحررية في الدول العربية وهذا الدول الإفريقية والتي كان من بينها الحركة التحررية في الكونغو برئاسة (باتريس لومومبا) عام ١٩٦٠م.

ومن أجل مساندة مصر لشعب الكونغو في حركته التحررية، تم تشكيل كتيبة عربية شاركت فيها الدول العربية لتنفيذ مهام دائمة للأمم المتحدة لمساندة ثورة (لومومبا) هناك، واختار الرئيس عبدالناصر وقتها العقيد «سعد الشادلي» قائدا للكتيبة العربية، لكفاءته وجدارته وثقة الرئيس عبد الناصر في أدائه.

وهناك تمركزت الكتيبة العربية في منطقة (ليبنغي) وهي مستعمرة صغيرة في أقصى الشمال الغربي للكونغو. وتبعد عن العاصمة (جنشاسا) ١٠٠٠ كم، وتبعد عن مصر ٥٠٠٠ كم. وكانت الكتيبة العربية بقيادة العقيد «الشادلي» مسئولة عن حماية مساحة ضخمة تعادل دولة سوريا بكاملها. ولم يكن «الشادلي» يدري وقتها أن تجربته في الكونغو ستحول إليه الأنظار من الداخل والخارج فيما بعد.

مفاجأة رائعة من الرئيس عبدالناصر

كانت أولى مفاجآت الكونغو هى صرف ٥٠ ألف دولار للكتيبة العربية وإيداعها باسم العقيد «سعد الشاذلى» فى أحد بنوك الكونغو بأمر من الرئيس عبدالناصر لينفق منها «الشاذلى» على الكتيبة العربية هناك دون أدنى قيود تحسبا لأى ظروف قد تطرأ عليه، وذلك برغم أن «الشاذلى» كان قد قام بتجهيز الكتيبة المصرية تجهيزا دقيقا بكل شىء، والأمم المتحدة تحملت كل نفقات الإقامة والانتقالات ولم يكن فى حاجة لهذا الدعم المادى إلا إنها كانت لفتة تعكس مدى حرص الرئيس على الكتيبة العربية وتعكس أيضا ثقة الرئيس الخاصة وتقديره للعقيد «سعد الشاذلى».

وكانت تجربة «الشاذلى» فى الكونغو تجربة ثرية وعلامة فى مشوار حياته العسكرية عرف فيها الكثير بالاحتكاك المباشر مع القوات الأجنبية هناك، وتعرف على إمكانياتهم العسكرية وأسلحتهم الجديدة وتفكيرهم العسكرى، ولكن على الجانب الآخر كانت هناك الكثير من المتاعب التى كان عليه مواجهتها. وكانت أولى هذه المتاعب زيارة العميد (أحمد إسماعيل على) للكتيبة العربية هناك بحجة تفقد أحوال الكتيبة العربية والتعرف إلى مطالب الرئيس (لومومبا)، لكنه انتهزها فرصة للتدخل فى عمل العقيد «الشاذلى» متخذا من رتبته العسكرية الأعلى من رتبة «الشاذلى» سبيلا للتدخل فى عمله، فكان

الصدام عندما اعترض «الشاذلى» على تدخله ورفض توجيهاته، واتصل بالسلطات فى مصر لإبلاغهم بما حدث بينه وبين أحمد إسماعيل حتى انتهى الخلاف بعودة العميد أحمد إسماعيل ومجموعته إلى مصر، وكانت هذه الواقعة سببا فى بداية توتر العلاقة بين «الشاذلى» وأحمد إسماعيل وتركت فى نفس كل منهما أثرا سلبيا.

كيف واجه الشاذلى مأزق تغيير السلطة فى الكونغو؟

وعلى غير توقع من الجميع حدث انقلاب أطاح بالرئيس (لومومبا) الذى كانت الكتيبة العربية مكلفة بحماية ثورته ليحل محله الرئيس (موبوتو) لتتغير بوصوله إلى السلطة موازين الأمور خاصة بعدما عاد (موبوتو) للاستعانة ببلجيكا، وأسرف فى مهاجمته للرئيس جمال عبد الناصر وصرح برفضه لتواجد الكتيبة العربية على أرض بلاده (الكونغو) ووصفهم بالمستعمرين والمحتلين، وألحق الأذى بكل من كان يتقرب من الكتيبة العربية من أهل الكونغو أو يقدم لها العون والمساعدة، وأرادت السلطة الجديدة بذلك إحداث وقيعة بين شعب الكونغو وقواتنا العربية المرابطة على أرضه حتى بدا واضحا عداء الحكم الجديد لمصر.

وبالرغم من أن الكتيبة العربية أتت إلى الكونغو تحت علم الأمم المتحدة فإن العقيد «الشاذلى» لم ينس فى مواجهة هذه التغيرات أنه

تابع للنظام في مصر، فلما استشعر العداء من الرئاسة الجديدة ضد مصر بدأ يحتاط لحماية قواته تحسبا لما قد يجد من أحداث، ونصح جنوده وضباطه بضبط النفس، لما رأى أن أى رد من جانب قواته العربية على استفزاز (موبوتو) ستكون نتيجته معركة سيخسر فيها «الشاذلى» ما كسبه من تأييد شعب الكونغو ومساندته للكتيبة العربية على أرضه.

اضطر «الشاذلى» لسحب قواته العربية سرا وبحذر شديد بمعدل ٢٠ جنديا عربيا فى كل مرة فى انسحاب سرى تدريجى وبطىء؛ ليعسكروا بالقرب من مطار (ليبنفى) ليسهل إقلاعهم فى أى وقت تحسبا لتغير الظروف أوصدور أوامر بالانسحاب! ليفوت «الشاذلى» على (موبوتو) دكائده ضد القوات العربية، إلا أن الجنرال (فينهور) قائد قوات الأمم المتحدة شعر بتحركات قوات «الشاذلى» وعسكرتها بالقرب من المطار. فأمر «الشاذلى» بسحب قواته العربية من منطقة المطار وفورا، وبسبب إحساس «الشاذلى» بالخطر على قواته العربية رفض أوامر(فينهور) واحتدم الخلاف بينهما (الشاذلى وفينهور)، وأمام إصرار «الشاذلى» وتمسكه برأيه اضطر (فينهور) إلى تهديد «الشاذلى» بتقديمه للمحاكمة لأنه لم يضع فى اعتباره تبعيته للأمم المتحدة بينما «الشاذلى» لم تنسه تبعيته للأمم المتحدة أنه تابع لمصر ومسئول عن حماية الكتيبة العربية، وأنه الوحيد صاحب القرار السياسى والعسكرى فيما يخص قواته أثناء تواجدهم فى الكونغو، وأمام إصرار كل منهما على

رأيــه (فينهور والشــاذلى) تصاعد الصدام بينهما فــى وقت لم تكن فيه الســلطة السياســية فى مصر تعلم بهذا الخلاف الــذى تصاعد ليُحدث مشكلة سياسية تطورت إلى أزمة دبلوماسية.

وأخبروا «الشــاذلى» وقتها بترتيب لقاء سيتم فى مساء نفس اليوم، يجمــع بين «الشــاذلى» وبين الممثــل المدنى للأمين العــام للأمم المتحدة (همرشــلد) بحضور د.مراد غالب الســفير المصرى هناك، والذى حضر خصيصا من (كنشاســا) عاصمة الكونغو لمناقشة هذه المشكلة، مما أشعر «الشــاذلى» بالحرج، فما كان يريد إحراج الســفير(غالب) فى مشــكلة «الشــاذلى» هو المســئول عنها وقادر على مواجهة تبعاتها، ولكن كانت هذه هى الترتيبات التى حددها مسئولو الأمم المتحدة.

ولمــا حان وقت اللقاء وبينما كان «الشــاذلى» يرتب فى عقله الحجج والبراهــين التى ســيدافع بها عن وجهة نظره، فوجئ بأن (همرشــلد وغالب) كانت تجمعهما معرفة سابقة بالأمم المتحدة وبدلا من الحديث عن الأزمة الدبلوماســية التى تســبب فيها «الشــاذلى» أخذ (همرشــلد وغالب) يســترجعان ذكرياتهما الدبلوماسية القديمة التى تركت أثرا طيبا فى نفس كل منهما وأســرفا فى ســردها وكأنهمــا فى زيارة ودية ليس لها علاقة بمشكلة «الشاذلى» حتى طالت جلستهم قرابة الساعتين و«الشاذلى» يترقب مناقشــة الأزمة التى أحدثها، ولكن انتهت المقابلة دون أن يتطرق حديثهما(غالب وهمرشــلد) إلى مشــكلة «الشاذلى» التى أتيا لمناقشتها.

وعند انصراف السفير غالب سأله «الشاذلى» بقلق عن السبب فى عدم مفاتحة (همرشلد) فى المشكله، فإذا به يستقبل قلق «الشاذلى» بابتسامة هادئة وكأن الأمر ما كان يعنى غالب ولا همرشلد، وأخبره أن مثل هذه المشاكل تخص جهات عليا فربما تحدث فيها عبد الناصر مع همرشلد شخصيا ليتخذا بشأنها القرار المناسب فيما بعد، ونصح «الشاذلى» بعدم القلق أو الاكتراث بهذه المشكلة، وانصرف تاركا «الشاذلى» مع دهشته من نتائج المقابلة.

وبالفعل بعد ثلاثة أيام حدث ما توقعه السفير غالب وصدرت الأوامر من الرئيس عبدالناصر بانسحاب الكتيبة العربية من الكونغو ليلتقى بذلك القرار السياسى لعبدالناصر مع الرؤية العسكرية للعقيد «الشاذلى» فى الانسحاب فكانت هذه الواقعة هى أول حدث دبلوماسى كان العقيد «الشاذلى» طرفا فيه وكان له دخل بالأمور السياسية بين البلاد. وبعد ١٦٣ يوما قضتها الكتيبة العربية هناك عادت القوات المصرية بسلاحها وعدتها وعتادها و٥٠ ألف دولار منحة عبد الناصر، لم يحتج «الشاذلى» أن ينفق منها شيئا وبذلك لم تتكلف مصر أى أعباء أو خسائر فى الكونغو.

وانتهت تجربة «الشاذلى» فى الكونغو بعد أن تركت علامة مميزة فى مشواره العسكرى وكشفت عن حرصه على مصالح قواته حتى لو عرضه ذلك للمتاعب، وعاد «الشاذلى» إلى مصر ليبدأ مهمة عسكرية جديدة فى دولة اليمن كانت فى انتظاره ولم تكن فى حسبانه.

(من الأرشيف الصحفى تجربة الشاذلى من حديث للعقيد الشاذلى فى مجلة المصور بعد عودته من الكونغو ١٩٦٠م).

«الشاذلى» فى حرب اليمن

فى منتصف الستينيات كان الرئيس عبدالناصر يولى اهتماما كبيرا بثوار اليمن، فكان الجيش المصرى يمدهم بالأسلحة ويتولى تدريبهم على القتال فى محاولة لمساعدتهم على التحرر. وفى مهمة عسكرية جديدة سافر العميد «سعد الشاذلى» إلى دولة اليمن آنذاك عام ١٩٦٥م قائدا للواء يتراوح عدده ما بين ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ ضابط وجندى لمساعدة الثوار، وهناك وجد أنه أمام حرب غير متكافئة القوى، فلم يجد هناك جيشا منظما فى مواجهته لمحاربته بالأسلحة، إذ كان العدو يفتقد النظام القتالى فاكتشف «الشاذلى» أنه سيواجه حربا كانت أقرب لحرب العصابات منها للحرب المتعارف عليها بالمواجهة بالأسلحة كان العدو يلجأ فيها للحيلة لمحاربة الجيش المصرى ومقاومته ،ولجأ إلى قتل جنودنا المصريين بطرق أخرى غير المواجهه بالأسلحة، فكان يقوم العدو أحيانا بزرع الألغام فى الطرق التى كان الجيش المصرى يمر بها ليصيب منه الكثيرين، وأحيانا أخرى كان يقوم بقطع الطرق على اللوارى والناقلات التى كانت تحمل إلى الجيش المصرى الإمدادات التى كانت تأتيهم من مصر عبر جدة بالبحر حتى تصل إليهم فى صنعاء، فكان العدو يقوم بقطع الطريق عليها ويقوم بنهبها والاستيلاء عليها قبل أن تصل إلى القوات المصرية! وساعدت الطبيعة الجبلية فى اليمن العدو على تحقيق ذلك. فكانت قواتنا المصرية تواجه هناك الكثير من

المتاعب غير المتوقعة، واستنزفت حرب اليمن الكثير والكثير من عُدة وعتاد الجيش المصرى آنذاك.

وعلى الرغم مما تكبدته مصر من خسائر هائلة فى حرب اليمن فإن الفريق «الشاذلى» وجد فى تجربة حرب اليمن مكاسب معنوية كثيرة قال عنها فى إحدى تسجيلاته :

«مكاسب الحرب فى اليمن كانت مكاسب سياسية أولها سقوط نظام رجعى متخلف كان يحكم اليمن بنظام القرون الوسطى لتنتقل اليمن بتحريرها إلى نظام القرن العشرين وتدخل فى النسيج العربى الحديث، ووجود القوات المصرية هناك عجل باستقلال عدن عن بريطانيا فعجل بدوره باستقلال الدول المجاورة مثل سلطنة عمان والإمارات والبحرين والكويت، وعجّل برحيل الاحتلال البريطانى عن هذه المنطقة العربية لما وجد أن استمراره فى احتلالها سيكبده الكثير، فالمستعمر عادة يبحث عن احتلال بلا خسائر. ولم تكسب مصر من حرب اليمن أية مكاسب مادية لكن مكاسبها كانت مؤجلة، جنيناها على المدى البعيد فى حرب ١٩٧٣م عندما كانت قواتنا البحرية متمركزة عند مضيق باب المندب وساعدتنا اليمن وقتها فى إغلاقه أمام الإمدادات المارة إلى إسرائيل، ولولا رصيدنا لديهم فى حرب اليمن ١٩٥٦م ونجاحنا فى مساعدة شعبها على الاستقلال ما كان تعاونهم معنا فى حرب ١٩٧٣م وكذلك إمدادهم لنا بالمال وما حصلنا عليه من مساهمات من العرب

وصلت إلى ١٧ مليار دفعتها الدول العربية للسادات في حرب ١٩٧٣م كل ذلك كان حصاد مساندة مصر لهم في حركاتهم التحررية»

ويبقى سؤال: هل كانت هناك صلة مباشرة بين وجود قواتنا المصرية للحرب في اليمن وبين هزيمة جيشنا في حرب يونيه عام ١٩٦٧م (حرب النكسة)؟

فى نكسة ١٩٦٧م
«الشاذلى» ينجح فى حماية قواته من العدو

مع حلول مارس ١٩٦٧م بدأت إسرائيل تحشد قوات عسكرية بالقرب من حدود سوريا، وبالبرغم من أن التهديد جاء لسوريا وليس مصر، فإن القيادات السياسية والعسكرية فى مصر أسرعت باتخاذ قرار الحرب ضد إسرائيل حماية لسوريا فى وقت كان من الصعب على الجيش المصرى أن يحارب على جبهتين فى وقت واحد، إحداهما فى اليمن والأخرى فى مصر لمواجهة إسرائيل العدو الشرس الذى يحتاج لمواجهته إلى استعدادت كبيرة ووقت كاف، ولذا لم يكن التصعيد لحرب ١٩٦٧ مدروسا دراسة كافية. وبالرغم من أن عبدالناصر كان يتمتع برؤية استراتيجية شاملة تشمل العوامل السياسية والعسكرية بكل جوانبها، فإن الصراع الخفى الذى كان يدور بين السلطة السياسية لعبد الناصر و بين عبد الحكيم عامر كسلطة عسكرية على قمة قيادات القوات المسلحة كان يؤثر بشكل كبير على القرارات السياسية فى ذاك الوقت حتى كان القرار المتسرع بدخول الحرب، وللأسف لم تدرك السلطة فى مصر خطأها فى اتخاذ قرار الحرب إلا بعد فوات الأوان.

وجاء فى الحديث المسجل للفريق «الشاذلى» عن حرب ١٩٦٧م:

إنه تلقى الأوامر بحشد القوات للاستعداد للحرب وتم دفع قواتنا إلى سيناء لتتمركز قوات «الشاذلى» فى المنطقة الشمالية من سيناء، ثم تلقى بعد ذلك بأيام أوامر بالانتقال إلى الجنوب، وبعدها بأيام أخرى أوامر جديدة بتغيير موقعه إلى موقع جديد، وبين كل موقع وآخر عشرات وأحيانا مئات الكيلومترات كان يقطعها «الشاذلى» بقواته فى صحراء سيناء ذهابا وإيابا عدة مرات؛ مما أدى إلى إهدار كبير للقوات والمعدات والوقود، وشعر اللواء «الشاذلى» وقتها بمدى التخبط فى قرارات القيادة التى كان يتلقى منها الأوامر، بعدها صدر القرار بتشكيل مجموعات للعمليات الخاصة، وكانت إحداها تحت قيادة اللواء «الشاذلى» وأطلق عليها (مجموعة الشاذلى) وكان قائده فى سيناء هو الفريق صلاح محسن، وتمركزت مجموعة «الشاذلى» فى خط المواجهة الأول مع العدو على مسافة ٢٠ كم من الحدود الدولية مع فلسطين وذلك بعيدا عن الطرق الرئيسية المرصوفة، ولم يكن لدى «الشاذلى» قوات تكفى لمهمته الخطرة حتى حدث ماحدث يوم ٥ يونيه عام ١٩٦٧م.

مفاجآت ٥ يونيه الأليمة.

فى صباح ٥ يونيه وفى السادسة صباحا حملت «الشاذلى» طائرة هليوكوبتر من موقعه فى سيناء إلى مطار فايد حيث التقى بقادة المحور الشمالى والجنوبى والأوسط فى سيناء وبعض القادة الميدانيين المعاونين

ليلتقوا بالبشير عامر ليطلعهم على تفاصيل خطة الهجوم على إسرائيل. وبينما كان القادة في انتظار وصول البشير سمعوا دوي انفجار هائل وبعده بلحظات قليلة كان انفجار آخر فإذا بمطار فايد - المجتمعين فيه - قد تم ضربه، فاعتقدوا أن مطار فايد وحده هو الذي تم ضربه، وعرفوا أن الحرب قد بدأت في الوقت الذي كان فيه البشير عامر لازال يحلق بطائرته في الهواء ولم يصل إليهم بعد ولا يوجد أي قائد من قادة الجيش في موقعه بين قواته.

ويروي «الشاذلي» عن حال جيشنا في سيناء بدون قادته في ذلك اليوم العصيب:

بعد ضرب المطارات أصبح الجيش في سيناء بدون قيادة، فأنه جيش بلا رأس، والحمد لله أن العدو لم يتسرب إليه خبر اجتماع القادة في مطار فايد، فلو علم العدو لأصابهم جميعا بضربة واحدة فيبدأ بيتنا كله بالشلل التام ولأربكت المفاجأة الجميع. ولم يكن أمام القادة من خيارات إلا العودة فورا إلى قواعدهم وجنودهم في سيناء بالسيارات، ليقطع «الشاذلي» قرابة ١٢ ساعة بالسيارة في صحراء سيناء حتى وصل إلى موقعه في المحور الجنوبي المواجه للعدو قبيل المغرب. ١٢ ساعة مدة طويلة أن تقضيها قواتنا في سيناء بلا قيادة، بخشوفة للعدو في الصحراء بلا غطاء جوي والعدو يسرح في سمائنا فوقهم بطائراته ولا يجد أي قوة تتصدى له حتى وجد «الشاذلي» قواته (مجموعة الشاذلي) في

حالة استنفار يترقبون وصوله بفارغ الصبر بعد أن أغارت عليهم القوات الإسـرائيلية فى أكثر من محاولة، ووقتها لم يكن لدى «الشـاذلى» أية خطـة هجوميـة يتبعها بعدما انفض لقاؤهم بالمشـير من قبل أن يبدأ، وكذا لم تحدث مناقشة لأى خطط هجومية، وزاد من الأمر صعوبة على «الشـاذلى» انقطاع اتصاله بالقيادات العليا فى سيناء ولم يكن يدرى ماذا يدور فى الأجواء من حوله.

لحظات عصيبة اعتصر قواتنا فيها القلق بعدما فقدت الغطاء الجوى الـذى من المفترض أن يحميهـا من العدو، وفقدت الاتصـال بالقيادات العليا، فلم يكن أمام «الشـاذلى» من حيلة يهتـدى بها ليعرف مايدور مـن حوله إلا الاسـتماع إلى الإذاعة المصرية ليتبـين الموقف، فإذا بكل بياناتها تبشـر بالنصر برغم الحالة المزرية التى يعيشـها «الشـاذلى» وقواتـه، فأدار المؤشـر لإذاعة العـدو ووجدها تعلن عـن بدء الزحف داخل الأراضى المصرية، واسـتمع «الشاذلى» فى ذهول إلى نداءات العدو لسكان المناطق المصرية التى اقتحموها فى سيناء تطلب منهم رفع رايات الاستسلام، فازداد «الشاذلى» قلقا عندما اتضحت له حقيقة الكارثة التى تمر بها مصر وخاصة أنه كان فى عزلة تامة عن باقى القيادات، وبحكم موقعه كان «الشـاذلى» هو الأقـرب لأرض العدو منها إلى طريق العودة، وكانـت مجموعة الشـاذلى بلا طـيران يحميها وبدون أسـلحة مضادة للطائرات تتصدى بها للعدو، وكان عدوه فى هذه اللحظات الرهيبة هو

الطيران الإسـرائيلى، حاول «الشاذلى» أن يحتفظ بهدوئه حتى يتسنى له تدبير الأمـر ليتمكن من حماية مجموعته من الطيران الإسـرائيلى فلم يجد أقرب إليه من منطقة جبلية داخل حدود فلسـطين أرض العدو الإسـرائيلى، وفى قرار جرىء قرر «الشـاذلى» أن يتحرك شـرقا إليها ليحتمى بجبالها من العدو فى عقر داره فى فلسطين.

فبدأ التحرك بقواته ليلاً ليحميه ظلام الليل من طائرات العدو، حتى اسـتقر بمنطقة تقع بالقرب من بئر للماء ليعسكر بقواته هناك فى بطن جبلين فيصعب فيها على الطيران الإسـرائيلى أن يراه، وحتى لو حدث ورآه العدو سيصعب عليه أن ينال منه، لأن سرعة طائرة العدو لن تتمكن مـن التوقف لضرب مجموعة «الشـاذلى» فلن تصـل ضرباتها إليها وهى مختبئة بين جبلين، واشـتهر «الشاذلى» فى الأوساط العسكرية بجرأته وبطولته فى حماية قواته من طائرات العدو فى حرب يونيه ١٩٦٧م.

قضت مجموعة «الشـاذلى» ليلة عصيبة فى حضـن الجبل فى أرض العـدو تحذره وتترقب انتقامه! واللواء «الشـاذلى» مع ضباطه وجنوده يتابعون إذاعة العدو وأخبار انتصاراتهم التى كان لها وقع مؤلم عليهم، فى الوقت الذى كانت فيه الإذاعة المصرية وسيلة المعرفه الوحيدة تعلن أنباء بعيدة تماما عن الحقيقة.

وكان يوم ٧ يونيه يوما رهيبا بتحدياته لمجموعة «الشـاذلى»عندما كشف الطيران الإسرائيلى مكانه وحاول ضرب قواته أكثر من مرة ليُعلم «الشـاذلى» أن قواته مرصودة من العدو الإسـرائيلى، لكن «الشاذلى» كان

مطمئنـا بعجز العدو عن النيل منه ومن قواته حتى لو كان يراه ويرصد مكانه، وفى نفس اليوم ٧ يونيه عصرا تلقى «الشاذلى» أوامر من القيادة العليا فى القاهرة بأن قواتنا فى سيناء قد انسحبت جميعها! ولم يتبق إلا مجموعة «الشاذلى» المختبئة فى فلسطين وأمرته بالانسحاب فورا.

«الشاذلى» يواجه أهوال الانسحاب فى الظلام

كانت ليلـة ٨ يونيه من أصعب ليالى حـرب ١٩٦٧م التى بدأ فيها «الشاذلى» الانسحاب بقواته ليلا ليقطع معظم المسافة فى الظلام، تحرك بمجموعته فى حذر شـديد متجنبين الطرق الرئيسية، لأن قواته كانت بلا غطاء جوى ومكشوفة تماما للعدو، والموت يتربص بهم فى كل خطوة وقابل «الشاذلى» بفرقته طوال الطريق أهوالا عظيمة قال عنها «الشاذلى»:

«كانت بجنودنا الجرحى إصابات بالغة على جانبى الطريق تصارع الموت فيحملهم معه ودباباتنا المحترقة بنيران العدو، وعربات الذخيرة كانت لا تزال مشتعلة والشظايا تتناثر منها حولهم فى كل الاتجاهات، وعربات وأسلحة ومعدات قضت عليها نيران العدو تماما حتى إن دخان احتراقها المتصاعد فى الهواء من حولهم كان يزكم الأنوف».

كل ذلك كان يثير الحسـرة والألم فى نفس «الشاذلى» وهو يرى جثث جنودنا وضباطنا التى فتك بهم عدو شرس فحولها إلى أشلاء على أرض سيناء، والطيران الإسـرائيلى يحوم فوق رءوسهم والموت يلوح لهم فى كل شـبر فى الظلام، حتى ظهر أول ضوء لبزوغ الفجر فكشفهم للعدو،

وما كان أمامهم ليصلوا إلى شـرق الإسماعيلية إلا ٩٠ كم وهنا بدأ طيران العدو يهاجمهم بشراسـة، فالعـدو كان يراهم فى وضح النهار وينتقى مايدمره من معداتهم فكان يضرب الطرق حول قوات «الشـاذلى» ليشـل حركتهـا ويكبدهم خسـائرهائلة وطال بهم الطريق والشـعور بمرارة الهزيمة والانسـحاب من سـيناء يعتصر قلوبهم وهم يتركون جزءا من أرض الوطـن الغالى فـى قبضة العدو ليرتع فيها كيف يشـاء ليخرجوا منها مهزومين على أرضهم.

بهذه المشاعر الأليمة كان «الشاذلى» يقطع طول الطريق ونيران العدو فوق رءوسهم بما تبقى معه من جنود ومعدات بعد الفقد الهائل للمعدات والقوات طوال طريق الانسـحاب حتى وصل إلى المعابر عند قناة السويس بعدمـا فقـد الكثير من معداتـه، وكانت (مجموعة الشـاذلى) هى آخر وحدة عادت إلى أرض الوطن وأمارات الألم ومرارة الهزيمة ترتسـم على وجوههم، وكان فى انتظارهم ضباط سـلاح المهندسـين عند البر الغربى ينتظـرون عبورهـم ليقوموا بنسـف المعابر قبل أن يلحـق بهم العدو، وكانت مجموعة «الشـاذلى» هى آخـر مجموعة عادت بدروس كثيرة عن الحـروب وأهوال الهزيمة فى ١٩٦٧م ودفع الجيش ومعه الشـعب ثمنا باهظا للقرارات الخاطئة حول الحرب لقياداتنا فى ذاك الوقت.

وبعودة مجموعة «الشـاذلى» أسدل السـتار على آخر معارك نكسة يونيه ١٩٦٧م، فماذا كانت المهمة التى تنتظر «الشاذلى» فيما بعد؟

حرب الاستنزاف علامة بارزة فى مشواره العسكرى

رفضت

قياداتنا هزيمة ١٩٦٧م وأبقت على حالة الحرب مع العدو فيما عُرف بحرب الاستنزاف والتى كان يتم فيها عبور دوريات إلى العدو وعمل كمائن لقواته وتفجير مستعمراته في سيناء، وغيرها من الخطط العسكرية التى تفسد على العدو استقراره فى سيناء.

فماذا كان دور «الشاذلى» فى حرب الاستنزاف؟

يحكى اللواء محمد التميمى عن دور «الشاذلى» فى هذه المرحلة قائلا:

«منذ ١٩٦٨م بدأت القيادة العامة فى إعداد الجيش ووضع خطط جديدة استعدادا للحرب واسترداد سيناء: ووقتها شارك اللواء «الشاذلى» فى إعداد مشروع سنوى تدريبى استراتيجى بوصفه قائدا للقوات الخاصة مع القيادات العليا والتى كان على قمتها وقتها الفريق محمد فوزى آنذاك. ففى الفترة من ١١يونيه ١٩٦٧ حتى ديسمبر ١٩٦٩م تولى اللواء «الشاذلى» قيادة القوات الخاصة وقد كانت له بصمة ارتبطت باسمه عندما قام ولأول مرة بضم الصاعقة مع المظلات فى سلاح واحد، ليقضى بذلك على المنافسة التى كانت بين الصاعقة والمظلات لتتحول إلى تعاون إيجابى فيما بينهما.

وساعدنا الاتحاد السوفيتى بجدية فى تعويض خسائر طائراتنا فى النكسة وما دمرته إسرائيل فى حرب ١٩٦٧، وكنا قد فقدنا الطائرات

لكننا لم نفقد الطيارين، وبدأت طائراتنا فى هذه الفترة تُغير فى طلعات دوريـــة على العدو حتـــى انتبه إلى قواتنا الجديـــدة فانتقم منا بعدوانه الشـــهير فـــى ١٩٦٩م فى بحر البقر وفى أنشـــاص مقـــر تدريب أبطال القـــوات الخاصة لأن معظم عمليات الاســـتنزاف كانت تقوم بها القوات الخاصة من أنشاص بقيادة اللواء «الشاذلى» وتمكن العدو وقتها من تدمير كل قواتنـــا الجوية الجديدة وقواعدها، وعادت سماء مصر مفتوحة أمام إسرائيل وأصبح الموقف خارج إمكانياتنا حتى نجح الرئيس عبد الناصر فى نهاية ١٩٦٩م بالاتفاق مع روسيا على إمداد الجيش بالسلاح وقوات مقاتلة من موســكو، وأرســلت روســيا ولأول مرة طيارين لتعادل بهم القـــوى بين مصر وإســـرائيل وجاءت معها بخبراء للأســـلحة وخبراء تدريب ومستشـــارين معاونين للقادة أثناء حرب الاســـتنزاف، وكانت مهمتهم التصدى للطائرات الإســـرائيلية داخل مصر وبما لا يتجاوز ١٥ كم نحو الضفة الغربية من قناة الســـويس. وظلت المساعدات العسكرية مـــن الســـوفييت إلى أن أصبحنا قادرين على إعداد كـــوادر خاصة (بنا).

انتهت رواية اللواء/ التميمى

وفـــى يوليـــه ١٩٧٠م وأثنـــاء حـــرب الاســـتنزاف أصـــدر الرئيس عبدالناصر قرارا مفاجئا بنقل اللواء «الشـــاذلى» إلى البحر الأحمر ليتولى قيادة المنطقة العســـكرية هناك، فما الذى حدث وأدى إلى نقل «الشاذلى» على وجه السرعة من أنشاص إلى البحر الأحمر؟

إبداعات عسكرية .للشاذلى. فى البحر الأحمر

جاء فى رواية العميد (يحيى الشاذلى) أن العدو كان يُحدث مع قواتنا فى البحر الأحمر مناوشات عنيفة خلال حرب الاستنزاف، حتى إن العدو أسرف فى انتقامه فى سبتمبر ١٩٦٩م عندما تسللت جنوده إلى منطقة الزعفرانة وتصادف فى هذه اللحظات مرور محافظ البحر الأحمر بسيارته فاعترضوا طريقه وقتلوه وسائقه، وكان لهذا الحدث المؤسف وقع سيىء على الرئيس عبد الناصر فاضطر إلى إصدار قرار بنقل اللواء «سعد الشاذلى» من قيادة الصاعقة بمنطقة أنشاص ليتولى قيادة المنطقة العسكرية بالبحر الأحمر ليتصدى لعمليات الإغارة الإسرائيلية هناك لثقة الرئيس فى كفاءة اللواء «الشاذلى».

وهناك أحكم اللواء «سعدالشاذلى» سيطرته العسكرية على المنطقة العسكرية ليتصدى لهجمات العدو هناك، فقام بتدريب أكفأ الضباط، وصف ضباط الصاعقة على القيام بعمليات إغارة لإحدى النقاط الحصينة من خط بارليف، منها النقطة التى كانت تقع بين رأس العش والتينة فى القطاع الشمالى لإرباك القيادة الإسرائيلية هناك، فجاء رد فعل العدو على إغارات قوات «الشاذلى» أكثر عنفا، وفى تحد سافر قامت قوات العدو بعملية إغارة شرسة على جزيرة شدوان، فأصدر «الشاذلى» أوامره

لقائد سرية الصاعقة التى كانت تحمى الجزيرة بالصمود والاستبسال حتى لحق به «الشاذلى» وجنودة بطائرة هليوكوبتر على الفور وتبعته ٢ سرية صاعقة، ونتج عن الاشتباك تدمير جزء لا يستهان به من سرايا العدو وطائرة هليوكوبتر، وقتلت قوات «الشاذلى» وأسرت عددا كبيرا من جنود العدو، مما دفع باقى قواتهم أن يلوذوا بالفرار من الجزيرة بعد هزيمتهم واستنجدت (جولدا مائير) بالرئيس الأمريكى لعمل هدنة بين الجانبين المصرى والإسرائيلى ووقف إطلاق النار، وقالت جملتها الشهيرة: (أنقذونا من المجرم سعد الشاذلى) واعتبر «الشاذلى» هذه المقولة وساما على صدره، بعد مذبحة شدوان تم بالفعل وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر، ووقتها تظاهر الشباب الإسرائيلى أمام الكنيست ضد وقف إطلاق النار فطالعتهم جولدا مائير قائلة: (كيف تتظاهرون فى يوم السبت الحزين بعد مذبحة «الشاذلى» فى شدوان الذى قتل من ضباطنا وجنودنا الإسرائيليين وأسر منهم الكثيرين).

انتهت رواية العميد/ يحيى الشاذلى

ويحكى اللواء أشرف راشد الذى قضى فترة من خدمته العسكرية فى البحر الأحمر وقتما كان «الشاذلى» قائدا لها فيقول:

بالرغم من أن قوات «الشاذلى» كانت محدودة فإنه استطاع أن يواجه العدو بخطط قضت على هجماته هناك، فعندما كان العدو الإسرائيلى يقوم أحيانا بزرع الألغام ليلا كانت جنودنا ترصد أماكنها وتنزعها فى

الصباح، وكان العدو يقوم بتنفيذ عمليات شرسة ضد المدنيين ردا على هجمات «الشاذلى» فيُسقط قواته بالمظلات على طريق الأسفلت ليقطع الطريق على المارة المدنيين، ويأسر بعضهم ثم يحملهم بطائراته إلى إسرائيل، ويبالغ مبالغة شديدة فى الإعلان عن عدد الأسرى وحدث ذلك بالفعل فى طريق قنا القصيرعندما أسر ٥ من المدنيين وأعلن أنهم ٥١ أسيرا، ولمواجهة ذلك والقضاء عليه بدأ اللواء «سعدالشاذلى» التركيز بقواته على ٥ مناطق، ومنع السير ليلا على الطرق العسكرية والمدنية بدءا من قبل الغروب بساعتين حتى الساعات الأولى من الصباح (حظر تجول) ليضيق على العدو فرصة التعرض للمدنيين هناك. كما أقام نقاطا للمراقبة الجوية، كل نقطة بها ٥ جنود لرصد حركة العدو وتضييق الفرصة عليه عند التسلل، ونجح اللواء «سعدالشاذلى» بالفعل فى إحكام قبضته على المنطقة، فلم ينجح العدو خلال قيادته لمنطقة البحرالأحمر فى أسر أحد من المدنيين أو العسكريين ولا حتى الإغارة على أية نقطة، كما نجح فى إقامة مناطق آمنة فى رأس غارب والغردقة وسفاجا والقصير حتى ارتبط الأمان هناك باسم «الشاذلى» بعدما كبد العدو خسائر فادحة.

ويضيف اللواء أشرف راشد:

لم يكتف اللواء «سعد الشاذلى» وقتها بتدريب قواته على القتال وحسب وإنما كان يعلمهم مهارات أخرى ويحرص على تعريفهم بكثير

مـن المعلومات منها أهمية المد والجـزر للبحر وتأثيره على تحركاتهم نحو العدو، وكان يصدر ما عرف (بتوجيهات الشـاذلى) التى اشـتهر بهـا آنـذاك فى الجيش وكان يصدرها كل شـهر فى كتيـب لكل ضابط وكل جنـدى، كان يحتوى على تعليمات تفصيليـة دقيقة لدور جنوده وضباطـه وكان الجميـع يلتـزم بتنفيذهـا بدقة منها مـا كانت تقضى بترشيد استهلاك المياه لندرتها، وكذا طرق الاستخدام الأمثل للذخيرة والأسـلحة وتجنـب الفاقد منها، وتعليمات أخـرى كثيرة تحدد عمل الضباط والجنود وتحركاتهم خلال ٤٢ ساعة، ولم يترك اللواء «الشاذلى» شـيئا مهما كان صغيرا أوكبيرا إلا واستفاد منه، منها على سبيل المثال لا الحصـر أنه عندما لاحظ ما يفيض من فتـات أطعمة الضباط والجنود لم يسـمح أن يُلقى بالفتات فى القمامة، بل أمـر بإقامة حظائر لتربية الدجاج خلف المطابخ للاسـتفادة من فائـض الأطعمة ليقدم الدجاج فيما بعـد ضمـن الوجبـات الغذائية على موائـد الضباط والجنـود كأطعمة ترفيهيـة. وغيرها مـن الأفكار التى لا تتسـع الأوراق لحصرها لكنها تكشـف عن عقلية «الشـاذلى» الإبداعية وابتكاراته مع كل شـىء مهما كان بسيطا.

انتهت بذلك رواية اللواء أشرف راشد

الشاذلى رئيسا لأركان حرب الجيش

بعد مرور مايقرب من عام على رحيل الرئيس جمال عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠م أصدر الرئيس السادات فى ١٦ مايو ١٩٧١م قرارا بترقية اللواء «الشاذلى» إلى رتبة الفريق وتعيينه رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة، ويعلق اللواء جمال مظلوم على هذا القرار فيقول:

جاء هذا التعيين تقديرا لكفاءة «الشاذلى» وجهده خلال حرب الاستنزاف، متخطيا بترقيته دفعتين من زملائه ما كان «للشاذلى» أن يسبقهم إليها إلا بكفاءته التى اشتهر بها، ووقتها من تعيينه مفاجأة للشاذلى وزملائه اللواءات الذين تجاوزهم بالترقية، وكانت ترقية «الشاذلى» فى هذا التوقيت تعكس ذكاء الرئيس السادات فى اختيار قادة الجيش، خاصة أنها جاءت بعد ثورة التصحيح بأيام والتى أطاح فيها الرئيس السادات بمراكز القوى التى تآمرت عليه، ولأن «الشاذلى» كان عسكريا محترفا لا يسعى إلى المناصب أوالتقرب إلى أى سلطة، ولم يكن محسوبا على أى تكتل، فكان «الشاذلى» من وجهة نظر السادات شخصية محايدة سياسيا وله تاريخ عسكرى مشرف، فاعتبر «الشاذلى» والسادات هذه الترقية فى هذا التوقيت الحرج شأنا وطنيا لصالح مصر. فماذا قدم «الشاذلى» لمصر فى منصبه الجديد؟

يعـود اللواء محمد التميمى ليحكى عن جهود «الشـاذلى» فى إعداد الجيش لمعركة أكتوبر فقال:

«أراد الفريق «الشاذلى» أن يضاعف عدد ضباطه، ولأن الضابط يحتاج فى إعـداده إلى جهد كبير خاصة أن «الشـاذلى» كان يُعد الضابط ليصبح قائـدا وليس مجرد ضابـط يتلقى أوامر لينفذها، وكان سـبيله لتحقيق ذلـك هو وضع برنامج لمضاعفـة عدد الضباط، وتدريبهـم تدريبا جيدا على أسـلحتهم، فوزع ضباط الاحتياط حاملى الشهادات الجامعية على مـدارس الأسـلحة المختلفة، وحـرص أن يظل كل منهـم فى تخصصه حتى قيام الحرب فيما بعد، ليكتسـب كل ضابط مهارة عالية بتدريبه وملازمته لسـلاحه لسـنوات، ولم يسـمح بتنقل الضباط بين الأسلحة المختلفة، ليحصل فى النهاية على كوادر متخصصة.

ومن الركائز الهامة التى اعتمد عليها الفريق «الشـاذلى» هى الشحن المعنوى المسـتمر للضباط وتوعيتهم بقضية مصر ضد العدو الإسرائيلى، فاسـتخدم اللافتات التى ترمز لحب مصر والاستبسال من أجلها، وأمر بتعليقهـا فى كل مكان يمكن للضباط أن يروها طـوال حياتهم اليومية (فى المطعم والممـرات وأماكن النوم وأماكن التدريب و....و....) وكذلك مطبوعات الإعداد المعنوى التى كانـت توزع عليهم والتى أطلقوا عليها (توجيهات الشاذلى).

دأب «الشـاذلى» على تقديم حلول عسـكرية فوريـة لكل ما يواجه ضباطه من مشـاكل مهما كانت صغيرة، وكان ينظم مؤتمرا شهريا يضم

قيادتين على الأقل وثلاثة مستويات لقيادات أقل حتى أدناها (الجندى) ليعرض كل منهم مشاكله للمناقشة فى حضور القيادات الأخرى، فقد يجد حلا لمشكلة أحد القادة لدى قيادى آخر فيتحقق الحل الفورى فى زمن قياسى، وكان «الشاذلى» يشرف بنفسه على هذه اللقاءات ويناقش الحلول معهم، وإذا صادفه مشكلة صعبة الحل يقوم على الفور بتكوين لجنة خاصة لحلها وفورا، وذلك لدعم الاتصال بين القيادة والجندى الفرد باعتباره أساس القوات المسلحة.

ساعد على إنجاح ذلك أن الفريق «الشاذلى» كان يتميز بصفات متفردة، منها إدارة الوقت والالتزام بالتوقيتات والمواعيد بدقة شديدة، والتخطيط الاستراتيجى الجيد، وتفوقه فى إعداد خطط وجداول العمل، ورفضه للتميز فى أى مجال عن باقى القادة كما حدث عندما رفض إقامة ملجأ خاص له كقائد ،واكتفى بملجأ أسوة بالقادة الأصاغر تحت الأرض، واهتم بتنمية الولاء والانتماء ومهارات الاتصال بين القيادات والضباط والجنود، بالإضافة إلى ذلك أدخل «الشاذلى» مايسمى (التدريب بالمغامرة) وهو إصطلاح معروف فى القوات البريطانية تعلمه «الشاذلى» فى بداية الستينيات عندما كان ملحقا حربيا فى لندن، ولم يكن هذا الأسلوب التدريبى متبعا فى القوات المسلحة المصرية فى ذاك الوقت، ويتلخص فى قيام القادة الأصاغر مع جنودهم ببعض الرحلات بعيدا عن وحداتهم وقادتهم على أن تجمع هذه الرحلات بين الترفية والتدريب

ليكتسبوا مهارة الاعتماد على النفس والابتكار واتخاذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب، في عمل دءوب لم يسبقه إليه أحد، ولم يلجأ إليه أحد بعده حتى تحقق ما تمناه من إعداد قوة مماثلة من الضباط مضافة إلى قوته الأساسية ليتضاعف عددها خلال سنتين فقط.

إلى هنا إنتهت رواية اللواء/ محمد التميمى

ساهم هذا الجو النفسى الذى أحدثه «الشاذلى» فى رفع الروح المعنوية للضباط والجنود التى أعانتهم على دخول الحرب المرتقبة تملؤهم الثقة فى أن النصر سيكون لهم بإذن الله، لم يساهم هذا الإعداد العسكرى والنفسى غير المسبوق فى تقوية الروح المعنوية للجنود والضباط وحسب ولكنه زاد من ثقة الفريق «الشاذلى» فى المواجهة المرتقبة ضد إسرائيل، فدفعته هذه الثقة إلى أن يقدم مذكرة للرئيس السادات فى نوفمبر١٩٧١م يستأذنه فيها بالسفر إلى دول الدعم العسكرى لطلب العون فى الحرب المرتقبة مع إسرائيل تنفيذا لتوصيات مجلس الدفاع المشترك تمهيدا للاستعداد للحرب، فقد كان الفريق «الشاذلى» وقتها هو الأمين العسكرى المساعد بجامعة الدول العربية مع رئاسته لأركان حرب الجيش، ولكن مضى شهران ولم يرد الرئيس على مذكرة «الشاذلى» بالرفض أو القبول! فاضطر «الشاذلى» إلى طلب مقابلة الرئيس وتحدد موعد المقابلة فى ٢٧يناير ١٩٧٢م فماذا دار بين الشاذلى والسادات فى هذا اللقاء؟

مباحثات مثمرة للشاذلى فى الدول العربية

فى اللقاء المرتقب فى ٢٧ يناير ١٩٧٢م تمت المقابلة بين الشاذلى والسادات، وأخبر الفريق «الشاذلى» الرئيس السادات عن عزمه على القيام بجولة فى بعض الدول العربية لطلب دعمها العسكرى لمصر استعدادا للمواجهة المرتقبة مع إسرائيل تنفيذا لتوصيات مجلس الدفاع المشترك، فقال السادات:

لا أوافق... إنها مضيعة للوقت ولن تكون هناك أية نتائج للزيارة، ولكنى أوافق على أن تزور ليبيا والسعودية فقط لأنهما بالفعل على استعداد لتقديم العون لنا، أما الدول الأخرى (الجزائر والمغرب والعراق) فإنها لن تعطى شيئا، لكنها ستستفيد دعائيا من زيارتك.

الشاذلى: ولكن سفرى إلى هذه البلاد سيكون بصفتى الأمين المساعد العسكرى للجامعة العربية وليس بصفتى رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة.

السادات: إن سفرك بصفتك الأمين العسكرى المساعد للجامعة العربية لن يلغى صفتك كرئيس للأركان، وسوف يستغلون صفتك هذه فى دعاياتهم لأبعد الحدود.

الشاذلى: إن علاقة مصر مع تلك الدول سيئة فإذا نجحت زيارتى فى الحصول على شىء لمصر فهو مكسب، وإذا لم أحقق شيئا فليس هناك ما نخسره.

رد السادات فى غضب:

شوف يا سعد..... أنت رجل عسكرى محترف ولا تفهم فى السياسة، إنى أعمل فى السياسة وأتعامل معهم منذ عشرين عاما وأعرفهم جيدا، إنهم يزايدون أحيانا وينتقدون أحيانا أخرى ويعرضون مساعداتهم بشروط غير مقبولة، وكيف تقوم بزيارة دول تقوم بالتهجم علينا وانتقاد سياستنا ؟

استوعب الفريق «الشاذلى» بذكائه اعتراض الرئيس واستطاع فى نهاية اللقاء أن يقنعه بفكرته، وسرعان ما تغيرت لهجة الرئيس بعد اقتناعه بوجهة نظر «الشاذلى» وقال :

الله يجازيك ياسعد ! تقدر تقوم بزيارتك وسنرى ما ستتمخض عنه هذه الجولة العربية.

وبالفعل غادر الفريق «الشاذلى» القاهرة فى ٩ فبراير ١٩٧٢م متوجها إلى الجزائر، يرتب فى رأسه ما سيطرحه فى حواره مع القادة هناك، وكان الفريق «الشاذلى» يتميز ببراعته فى الإقناع وقدرته الفريدة فى تحويل فكرته إلى واقع فى زمن قياسى، وفى الجزائر وظف «الشاذلى» كل إمكانياته الإقناعية وذكاءه فى التحاور حتى كان له ما أراد وحصل بالفعل على موافقة المسئولين هناك على دعم مصر، وشجعه نجاحه فى الجزائر أن ينطلق منها إلى المغرب ثم ليبيا وبعدها عاد إلى القاهرة بنتائج مثمرة للغاية أرضت الرئيس السادات وشجعت «الشاذلى» أن

يعـاود المحاولة فى دول عربية أخرى. فقام مـن جديد بزيارة العراق فـى ٢٦ مايو حتى ٢يونيه ١٩٧٢م ونجح فى تقريب وجهات النظر بين القاهرة وبغداد. (الفقرة السابقة نقلا من كتاب - الفريق الشاذلى وأسرار الصدام مع السادات - للكاتب محمود فوزى).

مناقشات حول قيام الحرب

بعد نجاح جولاته فى دول الدعم العسـكرى بدأ «الشاذلى» فى وضع تصور لخطة الحرب وفى ٦يونيه ١٩٧٢م دعا الرئيس السـادات القادة العسـكريين إلى مؤتمـر باسـتراحته بالقناطر الخيرية لمناقشـة خطة «الشـاذلى»، وبدأ القادة ومعهم الرئيس السـادات يسـتمعون إلى تقرير الفريـق أول أحمد إسماعيـل رئيس جهـاز المخابـرات العامة آنذاك وخلاصة ما جاء فى التقرير:

(تحذير من أن تقوم القوات المسلحة بأى عمليات هجومية ضد العدو حيث إنها غير مستعدة بسبب ضعف قواتنا الجوية. وبناء عليه تؤجل أى عملية حربية إلى أن تكون قواتنا متوازنة مع قوات العدو)

وجـاء اقتراح التأجيل متوافقا مع وجهـة نظر الفريق صادق وزير الحربية فى رفضه للحرب، فطلب الفريق «الشاذلى» الكلمة تعليقا على ماجاء فى التقرير قال فيها:

«ليس هناك خلاف على ضعف قواتنا المسلحة فى قدرتها على القيام بعملية هجومية كبيرة، ولكن إمكانياتنا الحالية تسمح بأن نقوم بعملية

محدودة نصيب بها إسـرائيل فى نقطتى ضعفها، الأولى: هى عدم قدرة العدو على تحمل الخسـائر البشرية لقلة عدد المقاتلين، والثانية: طول مدة الحرب لأن إسرائيل تعتمد على الحروب السريعة وتعبئ لها نسبة كبيرة من الشـعب اليهودى للاشـتراك فى الحرب مما يؤدى إلى توقف الحياة فى إسـرائيل بكل قطاعاتها، فالاعتمـاد على إطالة مدة الحرب سيكون سـببا لتعجيز إسرائيل وتكبيدها خسـائر بشرية، فتسقط من تلقاء نفسها عند المواجهه».

لم يكـن الهـدف الأول «للشـاذلى» هو الحصول علـى الأرض بقدر حرصه على الانتصار العسـكرى بتدمير قوات العدو كخطوة أولى، فقد كان يرى أنه إذا تقدم جيشنا للحصول على الأرض دون القضاء أولا على العدو مع ضعف قواتنا الجوية والتفوق العسـكرى للعدو نكون قد أتحنا الفرصة للعدو بتطويق جيشنا والانتصارعلينا. ذلك لأن العدو كان يتفوق علينا فى الطيران، ولديه سـرعة التواصل المباشـر لطيرانه مع دباباته على الأرض مباشرة وهذا مالم يتوافر لدينا. وبناءً عليه يصبح (القضاء على العدو أولا) هو السـبيل لتحقيق النصر واسـترداد الأرض. فإذا تم الانتصـار على العدو أولا فتح النصر أمامه كل الأرض فيما بعد فيحصل عليها عندئذ بدون حرب أو خسائر.

وبعد استعراض الفريق «الشـاذلى» لخطته أعلن اللواء المسيرى قائد القوات الجوية تأييده المطلق لخطة «الشاذلى» ١٠٠٪، واستعرض القادة

العسكريون وجهات النظر المختلفة وأصبح القرار للرئيس السادات، ولكن انتهى الاجتماع دون أن يتخذ الرئيس قرارا محددا يحسم به خلاف وجهات النظر بين القادة حول الحرب.

❑❑❑

«الشاذلى» يضع خطة المآذن العالية

وفى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢م وبعدما اقتنع السادات برؤية «الشاذلى» طلب الفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية من الفريق «الشاذلى» وضع خطة مبدئية للوصول إلى المضايق لإطلاع الجانب السورى عليها (والمضايق هى ممرات ضيقة بين جبال سيناء تمر من خلالها القوات المحاربة إلى داخل سيناء) ووضع الفريق «الشاذلى» خطته طبقا للإمكانيات الواقعية للجيش المصرى آنذاك وكذا إمكانيات العدو، وأطلق على الخطة اسما سريا (المآذن العالية) بينما كان الاسم المُعلن (الخطة ٤١) بهدف التمويه على خطة المآذن العالية. وكان الهدف من إعلان (الخطة ٤١) هو إعلام الروس بها لمساعدتنا بتوفير الأسلحة والإمكانيات اللازمة لتنفيذها، وجعل «الشاذلى» هدف خطته هو الاستيلاء على ٣٠ : ٤٠ كم داخل سيناء على مرحلتين. الأولى التحرك حوالى ١٢ كم فقط. يتم بعدها وقفة تعبوية لقواتنا قد تمتد لشهور بهدف إضعاف العدو بطول مدة الحرب فيسقط عند أول مواجهة، بعدها يتم الاستعداد للمرحلة الثانية، ورأى «الشاذلى» أن تنفيذ الخطة على مرحلتين يفوت على العدو مهاجمة الجيش المصرى وتطويقه، وتم إطلاع الرئيس السادات والجانب السورى على الخطة بمرحلتيها.

إقالة الفريق صادق وزير الحربية

لم يكن الفريق محمد صادق وزير الحربية فى ذاك الوقت متحمسا بما يكفى لخوض الحرب ضد إسرائيل، حتى إنه لم ينفذ تعليمات الرئيس السادات بتبليغ أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة جميعهم فى اجتماع الفريق صادق بهم بالاستعداد للحرب لأنه كان يخاف الحرب ويخشى المعركة المرتقبة برغم بدء الإعداد لها! وغضب الرئيس السادات لما علم بمخالفة الفريق صادق لتعليماته واعتبرها سقطة كبيرة من الفريق صادق فاضطر لإقالته، وعين الفريق أحمد إسماعيل على بدلا منه والذى كان وقتها مديرا للمخابرات، وتم تعيينه وزيرا للحربية خلفا للفريق صادق وذلك فى ٣٠ أكتوبر ١٩٧٢م (ملخص رواية السادات فى ص ٨٤٢ من كتابه البحث عن الذات بشأن إقالة الفريق صادق)

قرار الرئيس السادات بإجلاء القوات الروسية عن مصر

وفى يوليو ١٩٧٣م جاء قرار السادات بإجلاء القوات الروسية فى توقيت حرج قبل حرب أكتوبر بشهرين وأصبح على الجيش المصرى أن يُضاعف من عمله لتعويض الفراغ الذى تركه الروس فى الجيش، مما زاد من العبء على الفريق «الشاذلى» فاضطر لمضاعفة الجهد لإعداد قوات جديدة، وبعدها بشهر واحد بدأ الاستعداد الفعلى لتنفيذ خطته عندما التقت القيادات العسكرية السورية والمصرية فى مؤتمر بالإسكندرية

فى ٢١ أغسطس ١٩٧٣م لمدة ٣ أيام لاتخاذ التدابير اللازمة للاستعداد للحرب ورفع تقارير عن هذه اللقاءات لكل من الرئيس السادات فى مصر والرئيس الأسد فى سوريا حتى تتخذ القيادات السياسية التوقيت المناسب طبقا لعوامل كثيرة منها أعياد اليهود، وعوامل المد والجزر فى قناة السويس، والليالى القمرية، وكذا الظروف الطبيعية فى سوريا وغيرها من الاحتياطات، بعدها تحدد ٦ أكتوبر ١٩٧٣ هو يوم الحرب وتم إبلاغ الجبهة الشمالية - سوريا - والأردن بموعد الحرب.

وهنا يحكى الفريق يوسف عفيفى المحافظ الأسبق للبحر الأحمر الذى كان قائدا للفرقة ١٩ مشاة فى حرب أكتوبر التى سجلها فى كتابه (الفرقة ١٩ مشاة أبطال فوق العادة) قائلا:

(أخذ الفريق «الشاذلى» يتابع الاستعدادات النهائية لتنفيذ خطته، وكعادته كان يراجع بدقة شديدة أدق تفاصيل العبور بالساعة والدقيقة وربما بالثانية كما أعدها بالضبط، بعدما وصل حرصه إلى التأكيد على أن يحمل كل جندى وضابط سيقوم بالعبور حقيبة صغيرة على ظهره يحمل بها أطعمة جافة تكفيه ٢٤ ساعة وجهاز لاسلكى ليتسنى له الاتصال بقيادته، وطلقات دخان ليسهل على طائرات الإنقاذ أن تراه إذا ضل طريقه فى سيناء، وتحديد عدد الجنود فى كل قارب للعبور، وتوقيتات دقيقة لتحرك كل منهم فى لحظات العبور، كان «الشاذلى» يعد لحرب أكتوبر وعبور القناة كأنه يعد لاحتفال كبير بالنصر، مطمئن بالروح

المعنويـــة المرتفعة لجنوده، واثق كل الثقـــة بخطته، ويؤكد بين الحين والآخـــر على تفاصيل متناهية الدقة كأنه فى ســـباق مع التاريخ لينتزع من أيامه القادمة النصر لبلاده) وأضاف الفريق يوسف عفيفى:

(إن الفريق «ســـعد الشـــاذلى» نظم ببراعة فائقة انسياب مايزيد عن ثلاث آلاف مركبة عبر القناة فى فترة زمنية قصيرة حددها بحســـاباته الدقيقة بألا تزيد على ٣ ساعات، ولم يترك فى تجهيز مسرح العمليات صغـــيرة ولا كبيرة بـــكل تفاصيلها الدقيقة عن تجهيـــز المقاتل ومهامه المختلفة فى كل مراحل العبور والقتال شـــرق القنـــاة إلا وأعدها إعدادا غير مســـبوق وأصدرها مكتوبة فـــى توجيهه التاريخى الذى أطلق عليه (توجيه ١٤) وهذه الجهود لابد أن تنســـب للفريق الشاذلى بطل أكتوبر وسيظل التاريخ يذكرها له).

إلى هنا انتهت رواية الفريق يوسف عفيفى

وفـــى يوم الجمعـــة ٥ أكتوبر قبل العبور بـ ٢٤ ســـاعة فقط، وبينما كان «الشـــاذلى» يتفقد أحوال الوحدات العســـكرية بطول القناة ويراجع كل شـــىء مراجعة دقيقة، اســـتوقفه تجمع كبير للجنود والضباط حول اللواء عبد المنعم واصـــل قائد الجيش الثالث الميدانى يخطب فى جنوده وهم يستمعون إليه فى انتباه هائل.

كان اللواء عبد المنعم واصل فى كلمته يشـــعل حماس جنوده ويُحفز عزيمتهم للقتال ويمنيهم بالنصر ويدعوهم للاستبســـال ووضع الأرواح

على الأكف فإما النصر وإما الشهادة و.....و.... فقاطعه الفريق «الشاذلى» ليقترح عليه اختيار صيحة التكبير «الله أكبر» بمعانيها الحماسية لتكون صيحة العبور، ولما راقت الفكرة للواء واصل أمر «الشاذلى» بجمع ٢٠ من مكبرات الصوت لتوزيعها على الوحدات بطول خط القناة لتنادى على الجنود فى لحظات العبور «الله أكبر» فيرددها الجنود فى لحظات العبور فتشتعل قلوبهم حماسا بنداء التكبير وتشحنهم بطاقة إيمانية لها قوة دفع تعينهم على العبور، حتى جاء ٦ أكتوبر يوم العبور، فماذا كان يفعل الفريق «الشاذلى» فى هذا اليوم التاريخى؟

❑❑❑

أعظم أيام النصر فى مصر

منذ صباح السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣م إلى الساعة الثانية ظهرا (ساعة الصفر) كان الفريق «الشاذلى» منشغلا بتلقى تقارير تؤكد الاستعداد التام فى جميع الوحدات على خط القناة، ويتابع من خلال مركز القيادة موقع كل مقاتل واستعداده لمهامه القتالية المعدة له ليتأكد أن قواتنا فى حالة الاستعداد القصوى، وكان «الشاذلى» كقائد متحفز للثأر من عدوه يملؤه شعور بالقوة بترتيباته الدقيقة لكل شىء مع بعض من قلق ترقب التنفيذ، ويتابع تقارير عن أحوال العدو على الجانب الآخر شرق القناة فيطمئن لاسترخاء العدو وعدم انتباهه لاستعدادات قواتنا للعبور لمباغتته والهجوم عليه.

وكان الرئيس السادات فى مركز القيادة العامة يحتل مكانه على المنصة الرئيسة مع القائد العام ورئيس الأركان ورئيس هيئة العمليات حتى جاءت ساعة الصفر الثانية ظهرا التى انطلقت فيها طائراتنا تضرب بقوة معاقل العدو فى الطلعة الأولى وتعلن نجاح الضربة الأولى نجاحا كاملا ومذهلا لإسرائيل والعالم كله، فى ثلث ساعة فقط وبعد عشرين دقيقة من ساعة الصفر كانت طائراتنا قد ضربت مراكز القيادة ومراكز إدارة الطيران ومراكز إدارة الدفاع الجوى للعدو «الله أكبر»، ولما تأكد السادات من نجاح الخطوة الأولى هنأ القادة فى غرفة العمليات،

وانطلقت جنودنا طبقا للخطة يتسلقون ببراعة هائلة الساتر الترابى على درجات من الحبال، وآخرون فى مواقع أخرى يشقون بخراطيم المياه ارتفاعات هائلة للساتر الترابى وهم يرددون «الله أكبر»، والزوارق المطاطية تندفع بقوة وبسرعة هائلة على سطح مياه القناة تحمل قواتنا إلى الجانب الشرقى فى سيناء «الله أكبر» وساعة وراءها ساعات وامتدت المعابر تشق مياه القناة لتصنع جسرا تعبر من خلاله أسلحتنا الثقيلة إلى سيناء وصيحة التكبير تزلزل قلوبهم وتشعلهم حماسا «الله أكبر» و «الشاذلى» بانتباه هائل يتابع بقلق بالغ أدق تفاصيل تنفيذ خطته خطوة بخطوة وتحركات جنوده على خط النار.

وعاشت مصر كلها فى هذا اليوم العظيم من تاريخها مفاجأة الحرب فى حالة ترقب وقلق شديدين أثناء متابعة العبور من خلال شاشة التلفاز، كان الشعب المصرى كله يترقب النصر ويخشى تكرار الهزيمة، لم يكن جنودنا وحدهم يرددون صيحة التكبير «الله أكبر» فى لحظات العبور ولكن كان يرددها معهم الشعب المصرى كله فى الشوارع والمقاهى والبيوت وفى المساجد خاصة أن يوم نصر العبور توافق مع يوم العاشر من رمضان حتى أطلق البعض على حرب أكتوبر حرب العاشر من رمضان.

وكان لإعلان الحرب والعبور مفاجأة أيضا لأسرة الفريق «الشاذلى» فى منزلهم، فلم يعلموا بالحرب إلا من خلال وسائل الإعلام مثل باقى المصريين! وعن هذا اليوم قالت السيدة زينات السحيمى زوجة الفريق «الشاذلى» فى حوار لها:

«أنا عشت حياتى ربة منزل ويومها كانت عندى الخياطة وجاءت إلينا ابنة الجيران لتعلمنا بعبور الجيش للقناة، وكانت المفاجأة مدهشة لأن «سعد» لم يخبرنى أى شىء عن عزمه على الحرب، وكانت تلك عادته. كان رجلا عسكريا بكل ماتحمله الكلمة من معنى، كان دائما مشغولا بعمله، وكان صامتا لايتكلم معنا عن عمله على الإطلاق، فعمله خط أحمر ممنوع الاقتراب منه أو الكلام عنه، وكان يسافر ويعود ولا أعرف بسفره إلا بعد عودته وتلك كانت تعليماته لنا، وأصعب اللحظات التى عشتها معه هى فترات الحروب لأننا وقتها ما كنا نعرف عنه شيئا وكان يختفى لفترات طويلة دون أى اتصال بينما جيراننا الضباط كانوا يطمئنون أهليهم إلا «سعد» ما كان يتصل بنا ولاندرى عنه شيئا. وبالطبع لم يُعلمنا قط عن نية مصر فى دخول الحرب وظل قبل الحرب ثلاثة أشهر لم يحصل على إجازة».

كانت قلوب كل المصريين يملؤها خوف تكرار هزيمة ١٩٦٧م وخوف على أرواح أبنائهم وذويهم المقاتلين على خط النار ولم يكن أمامهم إلا الدعاء والتضرع إلى الله فى طلب النصر ونجاة أبناءنا المقاتلين على خط النار.

وفى يوم ٨ أكتوبر وبعد نجاح العبور وقف جنودنا البواسل بخطى ثابتة وثقة المنتصرعلى أرض سيناء الحبيبة والفرحة ملء عيونهم وهم يستقبلون الفريق «الشاذلى» فى ميدان القتال ويهتفون بخطة

(توجيــه ٤١) التى حققوا بهــا النصر فى مرحلته الأولى، و توجيه ٤١ هو التوجيه الذى حل فيه الفريق «الشــاذلى» ١٣٢ مشكلة كانت تواجه مخطط عبــور القناة وتدمير خط بارليف وإقامة رءوس الكبارى شــرق القناة، فى إنجاز خارق وغير مســبوق (حسب رواية الخبير العسكرى لواء د. إبراهيم شكيب).

والتــف الجنود البواســل حــول الفريق «الشــاذلى» يهتفون باسمه بفرحــة عارمة وثقة هائلة فى أروع حالة معنوية يمكن لقواتنا أن تصل إليها ربما خلال تاريخها العســكرى الحديث كله، ليسجلوا فرحتهم فــى تلك اللحظات التاريخية فى لقطــات فوتوغرافية التفوا فيها حول الفريق «الشاذلى».

ونجحت المرحلة الأولى من خطة «الشــاذلى» ووصل جنودنا إلى عمق ١٢ كم داخل ســيناء كما حدد لها «الشــاذلى» وهى حدود الغطاء الجوى المصرى واقتحموا خط بارليف ونجح جنودنا فى إسقاط بعض حصونه، وحطموا الأســطورة الكاذبــة للجيش اليهودى الــذى لا يُقهر. وارتفع العلم المصرى ليرفرف خفاقا على الضفة الشرقية من القناة معلنا انتصار قواتنا على العدو.

وفــى يــوم ١٠ أكتوبر وطبقــا للخطة كان على اللواء أول مشــاة أن يتحــرك جنوبا فــى محاولة لاحتــلال منطقة محددة فــى تقدم حرج لأنه ســيصبح خلال تحركه خارج المظلة الجويــة، لذا كانت تعليمات

«الشـــاذلى» المشددة بأن يتم التحرك بعد آخر ضوء للنهار ليحميهم ظلام الليل فـــلا يرصده طيران العدو ويدمره، ولكن قائـــد هذا اللواء لم يتبع تعليمات «الشـــاذلى» وخالفها بتعجل التحرك قبل الغروب بســـاعتين، فرصـــده العدو فى ضـــوء النهار وتتبعه حتى ابتعـــد عن مظلته الجوية وانهال عليه العدو ضربا حتى شتته وقضى عليه تماما.

واتخذ الفريق «الشـــاذلى» من هذه الواقعة دليلا على صحة تقديراته للمرحلـــه الأولى من خطته وحرصه على عدم قدرتنا على التحرك بعيدا عـــن مظلتنا الجوية، وكان «الشـــاذلى» ينتوى أن يظل فـــى مواقعه التى اخترقهـــا واحتلها لشـــهور طويلة حتـــى ترتبك الحياة فى إســـرائيل وينهار اقتصادها فتضعف من الداخل وتسقط فيما بعد من ضربة واحدة عند أول مواجهة مع جيشنا، ولكن ماحدث فى اليوم التالى غيّر مقاييس خطة «الشاذلى» وأضعفها.

السادات يأمر بتطوير الخطة والشاذلى يعترض:

وكما جاء فى مذكرات الشـــاذلى: إنه فى يوم ١٢ أكتوبر طلب أحمد إسماعيل من «الشاذلى» تطوير الخطة بقرار سياسى من الرئيس السادات القائد الأعلى للقوات المسلحه وذلك للوصول إلى المضايق لتخفيف الضغط على الجبهة الســـورية، فاعترض «الشاذلى» على تطوير الخطة على هذا النحو فى هذا التوقيت الحرج قبل أن تتاح للمرحلة الأولى من خطته أن

تستقر بما حققته كما رتب لها من قبل، ورأى أن تطوير الخطة للتحرك نحـو المضايق فى هـذا التوقيت فيه مخاطرة كبـيرة لقواتنا، خاصة أن قواتنا ستكون خارج غطائها الجوى والمخاطرة ستكون نتيجتها الحتمية تدمير قواتنا، كما حدث مع لواء المشاة الذى تم تدميره بالكامل فى مساء يوم ١٠ أكتوبر عند محاولته الخروج بعيدا عن المظلة الجوية، كما رأى «الشاذلى» أن تطوير الهجوم لن يخفف من الضغط على الجبهة السورية عكس ما تصورت القيادة السياسـية، فرفض «الشـاذلى» القيام بمحاولة محكوم عليها بالفشل مقدما؛ حفاظا على قواته ومعداته.

فماذا كان رأى القادة العسكريين فى تطوير الهجوم؟

❑❑❑

الفريق الجمسى
يكشف حقائق جديدة حول الثغرة

كانت الخطة التى أمـر القائد العام (الســادات) بتنفيذها فجر ١٤ أكتوبــر تتلخص فى عبورالفرقة١٢ المدرعــة والفرقة الرابعة عــدا لواء مدرع لتتحرك من غرب القنــاة فى اتجاه المضايق (اتجاه ممر متــلا، وممر الجدى وممرالطاســة وممر بالوطــة) ،وتنفيذا للأوامر تم إعــداد التعليمــات الخاصة بتطوير الهجــوم، ولكن فــور وصول هذه التعليمات إلى قادة الجيشــين الثانى والثالث اتصل كل من اللواء ســعد مأمون واللواء عبد المنعم واصل «بالشــاذلى» وأعربا عن معارضتهما وعدم قدرتهمــا على تنفيذ الخطة الجديدة بنجــاح فى ظل الظروف المتاحة، وانتهز «الشــاذلى» فرصة المعارضة لمعاودة إقناع أحمد إسماعيل بالعدول عــن تطوير الهجوم، ولكــن كان هناك إصرار من أحمــد إسماعيل على ضــرورة الالتزام بقــرار تطوير الخطة لأنه قرار سياســى، وبناء عليه أصبح على قواتنا أن تشن هجوما بنحو ٤٠٠ دبابة بينما كانت قوة العدو ٩٠٠ دبابــة فوق أرض من اختيار العدو وفى ظل تفوق جوى معاد وعدم توفر وسائل دفاع صاروخى لقواتنا المهاجمة، فكانت النتيجة الحتمية هى فشــل هذا الهجوم وخسرت قواتنا نحو ٢٥٠ دبابة (رواية الشاذلى نقلا من كتاب «قصتى مع النظام» ص ١٣١)

العدو يتسلل إلى الضفة الغربية فيما عُرف بالثغرة

وفى يوم ١٥ أكتوبر اكتشفت طائرة استطلاع أمريكية لم يستطع دفاعنا الجوى أن يسقطها ، لأن ارتفاعها كان خارج مدى صواريخنا، ثغرة بين الجيش الثالث فى السويس والجيش الثانى فى الإسماعيلية فأبلغت إسرائيل التى تحركت على الفور واستطاع (أرييل شارون) - الذى أصبح فيما بعد رئيس وزراء إسرائيل - قائدا لإحدى الفرق المدرعة الإسرائيلية - أن يعبر بقواته إلى غرب القناة من هذه الثغرة عند منطقة الدفرسوار القريبة من البحيرات المُرة حتى وصلت القوات الإسرائيلية إلى طريق السويس القاهرة وبالتدريج ازدادت الأمور سوءا عندما تم تطويق الجيش الثالث بالكامل وأدى ذلك إلى تعقيد مسار الأحداث .

ويصف المشير الجمسى ماحدث فى الثغرة فى ص ١١٣ من كتاب (أسرار الصدام بين الشاذلى والسادات) فيقول:

فى ١٦ أكتوبر وبينما كان أحمد إسماعيل يرافق السادات أثناء إلقاء خطابه أمام مجلس الشعب كان الفريق «الشاذلى» فى مركز العمليات يتلقى بلاغا عن نجاح جماعات صغيرة من العدو بالتسلل إلى الضفة الغربية، ولكن اتضح فيما بعد أنها حوالى ٣٠ دبابة وكتيبة من جنود المظلات عبرت ليلا! ونظرا لخطورة الأمر تقرر رفع استعداد اللواء ٢٣ ضمن احتياطى القيادة العامة ليتحرك من شرق القاهرة إلى قطاع الجيش الثانى لمعاونته فى القضاء على القوة المتسللة، وعلى ضوء هذه التطورات

حضـر الرئيس السـادات إلى مركز العمليات واسـتمع إلى تقرير أحمد إسماعيـل، بعدها تقرر إيفاد «الشـاذلى» إلى قيادة الجيـش الثانى لمنع تدهـور الموقف واتخاذ اللازم للقضاء على العـدو غرب القناة ومحاولة قفـل الثغرة فى شـرق القناة. وكنت (الجمسـى) على اتصال مسـتمر بالفريق «الشاذلى» لتبادل المعلومات والآراء.

وخـلال يومـى ١٩ / ٢٠ أكتوبر تقدمت قوات العـدو المدرعة غربا وجنوبا فى اتجاه فايد فى ظل تفوق جوى إسـرائيلى، وقد بذلت قواتنا مجهودا كبيرا خلال هذه الفترة الصعبة لحماية قوات الجيش بالتعاون مع الدفاع الجوى حتى بلغ متوسـط المجهود الجوى لقواتنا الجوية فى منطقـة الثغرة ٣٣٠ طلعة طائرة خلال المدة مـن ١٥ / ١٨ أكتوبر وكان ذلك دورا بارزا لقواتنا الجوية التى استخدمت فيها كل أنواع الطائرات المتيسرة.

ويستطرد المشير الجمسى فيقول:

وبعد أن ألم الفريق «الشاذلى» بالموقف تماما فى مساء يوم ٢٠ أكتوبر اتخذ القرار الذى يراه مناسـبا لمواجهة تهديد العدو الموجود فى غرب القناة وهو ضرورة سـحب أربعة لواءات مدرعة من الشـرق إلى الغرب خلال الـ ٢٤ ساعة التالية للدخول فى معركة ضد قوات العدو.

وذلك من وجهة نظره لايؤثر فى كفاءة دفاعاتنا فى الشـرق، بينما رأى أحمد إسماعيل غير ذلك، وكانت نقطة الخلاف الرئيسـة أن أحمد

إسماعيل يرفض رأى «الشاذلى» فى سحب أربعة لواءات مدرعة من الشرق إلى الغرب، ولحسم الخلاف بينهما رأى «الشاذلى» أن الموقف خطير ويجب حضور رئيس الجمهورية لشرح الموقف أمامه.

بعد اجتماع الرئيس مع أحمد إسماعيل الذى استعرض خلاله الموقف اجتمع بالقادة ليلة ٢٠ أكتوبر الذين رأوا أنه لاداعى لسحب قوات من الشرق حسب رؤية الشاذلى، فرفض السادات خطة الشاذلى وأعطى تعليماته لأحمد إسماعيل بعزل «الشاذلى» من رئاسة الأركان على ألا يعلن هذا القرار على القوات حتى لا يحدث رد فعل عندنا أو عند الإسرائيليين على أن يتولى الفريق الجمسى رئاسة الأركان. وبعدها اتصل السادات بالسفير السوفييتى لإجراء محاولات وقف إطلاق النار. (من كتاب السادات والبحث عن الذات ص ٢٧٤ وما بعدها)

ولم يتح السادات الفرصة للشاذلى فى هذا الاجتماع أن يشرح خطته الدقيقة التى درس كل جوانبها لمواجهة الثغرة والتى رأى فيها أن انسحاب ٤ لواءات من الخط الثانى من الشرق لن يؤثرفى قواتنا المواجهة للعدو فى الخط الأول مستفيدا من أن الجيش كان فى أروع حالاته المعنوية بعد انتصار العبور، لتظل قواتنا حتى بعد سحب ٤ ألوية متفوقة على العدو فى العُدة والعتاد، ومتفوقة فى الدفاع وليس الهجوم تحت مظلتنا الجوية.

بينما رأى السادات وقتها أن فكرة الانسحاب قد تعيد إلى أذهان جنودنا وقائع الانسحاب الأليم الذى حدث فى ٥ يونيه ١٩٦٧م فتؤثر

فـى معنوياتهـم وبالتالى على أدائهـم، فكان الخلاف بين «الشـاذلى» والسادات حول كيفية مواجهة الثغرة هو الذى انتهى بإقالة «الشاذلى» من رئاسة الأركان.

ورأى «الشـاذلى» أن تدخـل الرئيس فـى قـرارات إدارة العمليات العسـكرية هو الذى أدى إلى تشـتيت الخطة العسـكرية التى وضعها «الشـاذلى» من البداية، وأن انفراد قائد سياسى يفتقد الخبرة العسكرية بقرار عسكرى فى وقت حرج (وقت الثغرة) وأثناء الحرب دون الالتفات إلى رؤية «الشاذلى» الرأس المدبر للخطة والقائد العسكرى لمعركة العبور ورئيس أركان الجيش كان أحد أسباب اتساع الثغرة.

ورأى «الشـاذلى» أيضا أنه لولا تدخل السادات ورفضه خطته للقضاء على الثغرة ما كانت تمت محاصرة الجيش الثالث من العدو، وما كانت الثغرة اتسعت يوما بعد يوم فى مثل هذا التوقيت الحرج حتى اقتربت من مطار فايد.

وقد عبر الخبير العسـكرى اللواء د. إبراهيم شـكيب عن رأيه فى خلاف الرأى بين الشاذلى والسادات لمواجهة الثغرة:

«إن كلا الرأيين صائبان من منظور العلم العسـكرى إلا أننى أختلف مع رأى الفريق «الشاذلى» لفكرته سحب أربعة ألوية من الشرق إلى الغرب لمواجهة الثغرة، وأتفق مع السـادات فـى أنه لو تم ذلك لأحدث بالفعل إرتباكا شـديدا فى صفوف جيشـنا فى سيناء بسـبب أن تحرك الألوية

الأربعة بدباباتها من شرق القناة نحو غربها سيثير غبارا هائلا حولها يلفت أنظار باقى الجيش خاصة أنه لن يكون مفهوما لباقى القوات ماذا يجرى بالضبط؟ وسيكون تفسيره الوحيد لديها فى هذا التوقيت الحرج للغاية هو أن قواتنا بدأت فى الانسحاب العام، ومن ثم سيكون له أبلغ الأثر فى قواتنا المنتصرة وعلى معنوياتهم».

وطبقا لتعليمات الرئيس لم يتم الإعلان عن إقالة الشاذلى، ولكن متى عرف «الشاذلى» بأمر إقالته، وكيف كان رد فعله؟

إقالة الشاذلى من رئاسة أركان الجيش!!

انتهت الحرب، واحتفل المصريون بانتصارهم فى العبور وتابعوا على شاشة التلفاز صور للقادة المكرمين من أبطال أكتوبر والرئيس السادات يقلدهم الأوسمة والنياشين، بينما غاب الفريق «الشاذلى» قائد ملحمة النصر عن مشهد التكريم.!

وما حدث هو إنه فى ١٢ يناير ١٩٧٤م اتصل به وزير الحربية أحمد إسماعيل وطلب مقابلته، ليعلمه بقرار الرئيس بإقالة «الشاذلى» من منصبه كرئيس لأركان حرب القوات المسلحة وأن الرئيس قد أصدر فى نفس الوقت قرارا جمهوريا بتعيين «الشاذلى» بالخارجية سفيرا لمصر بالدرجة الممتازة تكريما لدوره فى حرب أكتوبر.

لكن «الشاذلى» اعتذر لوزير الحربية عن قبوله منصب السفير و رأى إن كان هذا التعيين عقابا له فهو يفضل التحقيق لإظهار الحقائق، وأبدى استعداده للمحاكمة، وأصر «الشاذلى» على الرفض وفشلت مساعى الوزير فى إقناعه بقبوله العمل سفيرا بالخارجية، وأنهى «الشاذلى» المقابلة بتحرير اعتذار كتابى عن العمل بالخارجية لتسليمه للرئيس السادات.

وبرغم ذلك سارت إجراءات تعيين «الشاذلى» فى الخارجية فى مسارها، حتى فوجئ بخبر تعيينه سفيرا بلندن منشورا بالصحف

فسارع «الشاذلى» بطلب مقابلة الرئيس السادات الذى كان وقتها بأسوان وتحدد فيما بعد موعد المقابلة فى أسوان يوم ١٦ يناير ١٩٧٤م.

وسافر الفريق «الشاذلى» بالطائرة إلى أسوان على نفقته الخاصة لمقابلة الرئيس ووصف «الشـاذلى» لقاءه بالرئيس أنه كان لقاء وديا لم يخل من نبرة عتاب من الرئيس على رفض «الشاذلى» تعيينه بالخارجية، وطال بينهما ذلك النقاش الودى حتى اسـتطاع الرئيـس بذكائه وحنكته أن يتفهم وجهة نظر «الشـاذلى» فى الرفض وذلك لمعرفته بعشق «الشاذلى» للعمل فى الجيش، ولكن السـادات نجح بثنائه على «الشـاذلى» ومدح كفاءته العسـكرية أن يقنعه أن اختياره للخارجية كان بسـبب خبرته العسكرية المتميزة وثقة الرئيس فيه، بعدما أفهمه أن تعيينه فى لندن سـيكون مجرد تغيير لمكان عمله العسـكرى، لأن مهمته هناك ستكون مهمة عسكرية وسرية، وتحتاج إلى رجل فى كفاءة «الشاذلى» وعهد إليه الرئيس بالاتفاق على صفقات أسـلحة لمصر من ألمانيا، وأقنعه أن وجوده فى لندن سيسهل مهمته العسكرية الجديدة هناك.

واقتنع «الشـاذلى» برأى الرئيس الذى استشعر فيه الثقة، واعتبره ترضيـة كافيـة وتعويضا عن إقالتـه من الجيش، خاصـة أن عمله فى لندن سـيكون امتدادا لعمله العسـكرى لخدمة القوات المسلحة، وعلى هذا النحو اعتبر «الشـاذلى» أن عمله فى لندن سـيكون بالفعل نوعا من التكريم، خاصة أنه كانت «للشـاذلى» خبرة سـابقة فـى العمل بلندن

فـــى عهد عبدالناصر عندما كان ملحقـــا حربيا لمصر هناك فى الفترة من ١٩٦١م إلى ١٩٦٤م بعد عودته من الكونغو.

ووقتها – ١٩٦١م – وجد «الشـــاذلى» فى هذا التكليف من الرئيس عبـــد الناصر تكريما خاصا له وأضاف إلى خبرته العملية الكثير، فلأول مرة ركب فيها «الشـــاذلى» حاملة طائرات كانت فى لندن، وحضر أيضا مناورات للجيش البريطانى لمدة أسبوع كامل ومتواصل هناك، ليتعرف خلاله إلى الأســـلحة الحديثة ويتدرب على استخدامها، واكتسب ثقافة وخبرة الاحتكاك بالقوات الأجنبية، والتقى بالقيادات العسكرية هناك فى كثير من المناسبات وقام بمناقشاتهم فى كثير من الأمور العسكرية.

وكانت تجربة «الشـــاذلى» فـــى لندن وقتها بالقطـــع إضافة لحصيلته السياسية والدبلوماسية والعسكرية فى ذاك الوقت. واستفاد «الشاذلى» من هذه الخبرة بتطبيقها أثناء إعادة إعداد الجيش المصرى لحرب أكتوبر.

وقبل ســـفره بأيـــام قليلة قابل اللـــواء رفعت حســـنين نائب مدير المخابـــرات العامـــة وأخبره أن لديـــه معلومات تفيد بـــأن مجموعة من المتعصبين الإسرائيليين سوف يسافرون إلى لندن خصيصا لاغتيال الفريق «سعد الشاذلى» هناك، وأن المخابرات الإنجليزية لديها المعلومات نفسها ونصح «الشاذلى» بالحذر الشديد وعدم الإعلان عن موعد سفره ليبقى سرا لإحباط محاولة اغتياله! ولكن ما أن وصل الفريق الشاذلى إلى لندن حتى وجد متاعب ومفاجآت مذهلة كانت فى انتظاره ولم تكن فى حسبانه.!!

مفاجأة مذهلة للشاذلى فى لندن!!

استقبلت المتاعب والمفاجآت السفير «الشاذلى» عند وصوله إلى لندن عندما بدأ فى مواجهة حملة صهيونية ضد تعيينه سفيرا لمصر هناك. وكتب عنها وقتها موسى صبرى بجريدة الأخبار فى ٢٩ / ٧ / ١٩٧٤م الذى كان يعرف الفريق «الشاذلى» عن قرب وسبق له أن أجرى معه حوارات بعد نصر أكتوبر من قبل، وجاء فى عرضه لاتهامات الصهيونية ضد السفير «الشاذلى»: إن هذه الحملة كانت تعتمد على اتهامين، الأول أن «الشاذلى» عندما كان ملحقا حربيا فى لندن فى الستينيات كان على علاقة بالحزب اليمينى المتطرف (وهو حزب غير معترف به فى بريطانيا) الذى كانت سياسته تتسم بالعداء للسامية، وأن «الشاذلى» كان يقوم بتشجيع الحزب وأكد «الشاذلى» مدافعا ضد هذا الاتهام أنه اتهام باطل فلا يمكن له أن يكون ضد السامية لأنه عربى وأصول العرب التاريخية من أصل سام. والفرق كبير بين الخلاف مع إسرائيل كعدو وبين معاداة السامية وأنكر «الشاذلى» هذا الاتهام.

أما الاتهام الثانى فكان مفاده أن «الشاذلى» عندما كان رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى خلال معارك أكتوبر أمر بقتل الأسرى الإسرائيليين، والحقيقة أن «الشاذلى» لم يُصدر هذا الأمر سواء قبل

العمليات الحربية أو أثناءها أو حتى بعدها، لكنه أصدر توجيه لقواته بتوخى الحذر الشديد عند مواجهة العدو تجنبا لمكر العدو وخداعه، وأصدر أوامره بالإسراع بالإجهاز على العدو وقتله وهذا أمر طبيعى فى المعارك، فلا يُعقل أن يوصى جنوده وضباطه أن يقابلوا عدوهم عند مواجهته بالأحضان والقبلات. وهكذا فشلت القوى الصهيونية فى عرقلة تعيين «الشاذلى» سفيرا لمصر فى لندن. (انتهت الفقرة المختصرة من مقال موسى صبرى بجريدة الأخبار فى ٢٩ / ٧ / ١٩٧٤م)

ولم يعبأ السفير «الشاذلى» بهذه المتاعب المفتعلة وجعل تركيزه الأول فى مهمته العسكرية التى أتى من أجلها وبادر بتحديد موعد لمقابلة السفير الألمانى ليتعرف إلى فرص التعاون العسكرى المرتقب بين مصر وألمانيا والتى جاء خصيصا للاتفاق عليها، وتوقع «الشاذلى» أن المقابلة قد تطول، ولكن المفاجأة التى كانت بانتظاره جعلت المقابلة تنتهى فور بدايتها وانتهت بدهشة «الشاذلى» بعدما عرف من السفير الألمانى أنه ليس هناك نية فى مساعدة مصر بتسليح ألمانى، فاكتشف «الشاذلى» لحظتها أن المهمة التى كلفه بها السادات كانت فكرة وهمية ليس لها أى أساس من الصحة، وأن مجيئه إلى لندن والعمل بالخارجية كانت محاولة من السادات لإبعاده وإقصائه عن مصربعد تألقه وانتصاره (روزاليوسف، ٢٣ / ٤ / ٢٠٠٥م).

وبالرغم من أن عمل «الشاذلى» سفيرا بالدرجة الممتازة ليس بالمنصب الهين فإن وقع المفاجأة كان كبيرا عليه، وزاد من دهشته الثقة التى

كانت بينه وبين الرئيس، فسبق أن حظى «الشاذلى» بتقديرالسادات من قبل بترقيته رئيسا للأركان متخطيا بترقيته ٤٠ لواءً من زملائه، وعهد إليه الرئيس بوضع مشروع استراتيجى لإعادة إعداد الجيش لمعركة النصر قبل وبعد إجلاء الروس عن مصر، والسادات هو الذى وافق من قبل ذلك «للشاذلى» بإجراء مباحثات مع بعض الدول العربية لدعم مصر فى حرب أكتوبر وأتت ثمارها فى نصر أكتوبر، والسادات هو الذى كلف «الشاذلى» بوضع خطة العبور والتى نجحت المرحلة الأولى منها نجاحا باهرا أذهل العالم.

وبرغم ذلك أحدثت هذه الواقعة شرخا كبيرا فى جدار الثقة الذى كان يرتكن عليه «الشاذلى» فى علاقته بالرئيس السادات، واكتشف «الشاذلى» وقتها بُعد المسافة التى تفصل بين تفكيره كرجل عسكرى محترف، وتفكير الرئيس السادات ودهائه السياسى، فالسياسة متخمة بالألاعيب ولها قواعد كان السادات يتقنها جيدا ويمارسها ببراعة فائقة.

ولكن لأن الفريق «الشاذلى» كان يتمتع بشخصية صلبة وعنيدة فى مواجهة مثل هذه الصدمات، فلم يدع الفرصة لصدمته فى السادات أن تنال منه وأخذ يمارس عمله الدبلوماسى بمنتهى الحماسة للعمل والاستمتاع به.

وتحكى السيدة عبلة عادل خيرى عن واقعة لقائها بالسفير «سعدالشاذلى» أثناء عمله سفيرا لمصر بلندن فى أواخر ١٩٧٤م قالت عنها:

«استقبلنى السفير المصرى الفريق «سعد الشاذلى» مع أسرتى فى السفارة المصرية بلندن حيث أقام لى حفل تكريم كبير دعا إليه كبار الشخصيات والإعلاميين والسفراء للاحتفال بى هناك فور إعلان وسائل الإعلام العالمية نجاحى فى عبور المانش، وكنت وقتها أول فتاة عربية مصرية تنجح فى عبور المانش وكان عمرى وقتها ١٥ عاما، وكنت قد حققت بعبورى هذا رقما قياسيا عالميا كأصغر سباحة فى العالم آنذاك، وكان نجاحى حدثا عالميا وفخرا لمصر نلت عنه التكريم، وكتبت عن نجاحى الصحف المصرية والأجنبية، وكان السفير «الشاذلى» فخورا بإنجازى وعبر عن ذلك فى كلمته التى ألقاها أمام ضيوف الاحتفال الذى أقامه خصيصا لى فى السفارة المصرية وصف فيه نجاحى بأنه ثانى عبور ناجح للمصريين، وكان حفل تكريمى من السفير «الشاذلى» هو أول تكريم حصلت عليه قبل عودتى منتصرة لمصر، وظل ذكرى سعيدة لأسرتى لأول وآخر لقاء جمعنا بسفير مصر فى لندن الفريق «الشاذلى»».

واستمر «الشاذلى» فى عمله الدبلوماسى بنفس حماسه المعهود يعقد اجتماعاته ويحضر مؤتمرات ولقاءات ويدلى فيها بتصريحاته كقائد عربى منتصر، لكنه لم ينس أبدا فى ممارسته لعمله الدبلوماسى أنه تابع للسلطات المصرية، وبرغم ذلك كان قدره أن تلاحقه المتاعب أينما ذهب فكانت المفاجأة الجديدة هى استدعاء وزير الخارجية إسماعيل فهمى للسفير «الشاذلى» بشكل طارئ للقاهرة للتحقيق معه بشأن ما نسب إليه مؤخرا من تصريحات.

المتاعب تلاحق السفير الشاذلى في لندن

عاد الكاتب الصحفى موسى صبرى يكتب فى الأخبار فى ١٨ / ٩ / ١٩٧٤م تحت عنوان (حاقدون... حاقدون) عن أسباب استدعاء وزير الخارجية للشاذلى فى مصر وجاء فى مقاله:

نشأت قصة غريبة بين (السفير) الصحيفة و(السفير) الرجل «سعد الشاذلى»، والسفير صحيفة مجهولة للقراء فى مصر وصدرت من بيروت، وكانت قد نشرت تصريحات كاذبة للسفير «سعد الشاذلى» وادعت الصحيفة فيها بما لا يجب أن يصدر عمن يمثل سياسة مصر بالخارج وجاء فيما نشرته «إن «الشاذلى» سفير مصر حضر اجتماعا فى النادى المصرى بلندن للطلبة العرب كان قد أقيم لتكريمه تقديرا لدوره فى حرب أكتوبر، وبالرغم من أن «الشاذلى» اشترط فى أسئلة الحاضرين ألا يكون فيها أى مساس بأى دولة عربية أو أى زعيم عربى، فإن الصحيفة ادعت باطلا أن السفير «الشاذلى» ورد فى إجاباته:

أنه اتهم القيادة السياسية فى مصر بأنها تراجعت خلال حرب أكتوبر عن الاستراتيجية التى كانت تعتمدها من قبل مما أدى إلى حدوث الثغرة وخروج مصر من المعركة، وأن القيادة المصرية استهانت وقللت من أهمية الثغرة فى المراحل الأولى إلى أن حدثت الثغرة (وهذا

مالم يصدر عن الشاذلى)، كما ادعت الصحيفة أن السفير «الشاذلى» طالب الشباب الثورى المثقف بأن عليه أن يعمل على ألا تخرج مصر من المعركة (وهذا مالم يصدر عن الشـاذلى) بينما كانت الحقيقة أن «الشاذلى» طالب بمسـاندة مصر ودعمها لأن انتصارها فى أكتوبر كان نصرا لكل العرب وأن معركتنا مع إسـرائيل لم تنته بعد، وأسرفت الصحيفة وبالغت فى ادعاءاتها الكاذبة التى أحرجت بها «الشاذلى» مع القيادة السياسية فى مصر، وادعت أن «الشـاذلى» وصف نفسـه بالزعيم القـادم لمصر (وهذا أيضا لم يصدر عن «الشـاذلى») فهل كان «الشـاذلى» بالفعل صاحب هذه التصريحات أم كان مُفترى عليه ؟

ويستكمل موسى صبرى فى مقاله فيقول:

فى لقاء «الشاذلى» مع الوزير إسماعيل فهمى بالقاهرة كذَّب «الشاذلى» كل هذه الادعاءات ووصفها بأنها ملهاة تافهة وسـاذجة ومليئة بعبث مسـئولية الكلمة، وأكد على حقيقة أنه لما علـم بأن الاجتماع (موضوع الخلاف) كان يضم ممثلين لاتجاهات سياسية عديدة (شيوعية وبعثية وغربية وشـرقية وسـوفييتية وصينية وغيرها) نبه «الشاذلى» الجميع أنه لن يسمح بأى كلمة بها مساس بأى دولة عربية أو أى زعيم عربى، وأنه اشـترط وأكد على الحاضرين أنه سـيضطر إلى رفـض الإجابة عن أسـئلة معينة حفاظا على مسئولية موقعه الدبلوماسى، وأن إجابته عن الثغرة ذكر فيها أنها حدثت نتيجة أخطاء وأنه كان يمكن القضاء عليها فـى المراحل الأولى، وأنه بدافـع وطنيته وحبه لمصر دعا الدول العربية

بتحمل أعباء الحرب مع مصر ومساندتها، وأكد على ولائه للقيادة السياسية فى مصر وأنه جندى فى معركة بلاده أيا كان موقعه، وأن ما حدث هو مؤامرة واضحة للعيان ضده وضد وطنه مصر تهدف إلى تشويه الانتصار المصرى وإفساد علاقته بالسلطات المصرية التى يعمل تحت لوائها ووصفهم بالحاقدين. وأكد «الشاذلى» أن بعض الحاقدين قد يتصورون بفعلتهم هذه وبتحريفهم لكلماته أنهم سينجحون فى تجريح ولائه لمصر ووطنيته بعدما نسبوا إليه كلاما لم يصرح به، كما أكد «الشاذلى» فى اجتماعه (موضوع الخلاف) تعمد إسرائيل المراوغة لكسب الوقت الذى يتيح لها تضميد جراح معارك أكتوبر لتستعد لشن حرب مفاجئة ضد العرب للثأر من هزيمتها فى حرب أكتوبر.

وهكذا نجح السفير «الشاذلى» فى إقناع وزير الخارجية بوجهة نظره وانتهت الأزمة بعد التوضيح الذى قدمه فى القاهرة وعاد «الشاذلى» إلى عمله فى لندن.

إشتعال الخلاف بين الشاذلى والسادات:

تتابعت المتاعب على حياة السفير «الشاذلى» فى لندن، ويحكى «الشاذلى» عنها فى حلقة من مذكراته فى (جريدة الأحرار) ذكر فيها أن الرئيس السادات أجرى حديثا مع سليم اللوزى رئيس مجلة الحوادث وألقى فيه الرئيس بمسئولية الثغرة كاملة على الفريق «الشاذلى» وأرجعها لمخالفة «الشاذلى» توجيهاته، كما ذكر إن الفريق «الشاذلى»

عاد من الجبهة أثناء حرب أكتوبر منهارا فاضطر السادات إلى السعى لوقف إطلاق النار إنقاذا للموقف.

أزعجت «الشاذلى» هذه التصريحات حتى إنه وصفها بادعاءات باطلة وأنكرها وأسرع ليعلن فى حفل دعا إليه العديد من السفراء فى بريطانيا إنكاره لاتهام السادات له بالانهيار، وأعلن أنه لو كان السادات اهتم برأى «الشاذلى» لقضى على الثغرة فى زمن قياسى وتجنب خسائر كبيرة تكبدتها القوات المسلحة، ولم يكتفِ «الشاذلى» بذلك بل ذكر أن خلافه مع السادات حول الثغرة كان بسبب أن السادات يفتقد الخبرة القتالية فى ميدان القتال، فقد قضى سنوات كثيرة من حياته العسكرية بين السجون السياسية قبل أن يصل إلى قمة السلطة السياسية فى مصر، وأن السادات لم يشارك فى أى حرب ولا يعرف أجواءها وأهوالها التى يعرفها «الشاذلى» جيدا وتدرب على مواجهتها مرات ومرات، فلم يصب «الشاذلى» ولا مرة فى أشرس المعارك وخلال تاريخه العسكرى الطويل (ربع قرن) بما أسماه السادات الانهيار، وفى نهاية اللقاء أكد «الشاذلى» أن السادات هو الذى انهار نفسيا وليس «الشاذلى».

للمرة الثانية وزير الخارجية يستدعى الشاذلى فى القاهرة!

وعلى ضوء هذه التصريحات استدعى وزير الخارجيه «الشاذلى» إلى القاهرة وطالبه بتكذيب كلامه ولكن «الشاذلى» رفض، فما كان أمام

السادات لمعاقبة «الشاذلى» على تصريحاته إلا أن أصدر قرارا بنقل «الشاذلى» إلى البرتغال عقابا له على تصريحاته بعد عام واحد قضاه سفيرا لمصر بلندن.

وكتبت جريدة الأهرام فى ١/ ٨/ ١٩٧٥م خبر استقبال ملكة إنجلترا السفير «سعد الشاذلى» بمناسبة انتهاء مهمته الدبلوماسية فى لندن، لينتقل بعدها سفيرا لمصر فى البرتغال ويتولى عمله الدبلوماسى الجديد هناك مع بداية سبتمبر ١٩٧٥م.

فهل انتقال «الشاذلى»من لندن إلى البرتغال وضع نهاية لمتاعبه؟

❑❑❑

أنشطة جديدة للشاذلى فى البرتغال

فقد «الشاذلى» بنقله إلى البرتغال فى سبتمبر ١٩٧٥م الكثير من الامتيازات التى كان يتمتع بها فى لندن كواحدة من كبرى العواصم الأوروبية، ولكنه لم يسمح لأى مشاكل أن تنال من حماسه وتقلل من عزيمته فى أداء مهامه الدبلوماسية فى البرتغال. فقد كان «الشاذلى» محبا للحياة مهما كانت تقلباتها، شغوفا بعمله أيا كان موقعه، فمهما تغيرت ظروفه لم يؤثر أى تغيير فى شخصيته. فظل يواصل عمله بنفس الحماس ويدين بولائه الصادق لوطنه مصر، وكأن إحساسه بالظلم كان يزيده عنادا وإصرارا على النجاح، فانطلق بنشاطاته فى البرتغال التى لفتت إليه الأنظار وزادت من شهرته هناك. بدأها بتعلم اللغة البرتغالية لغة البلد التى يعمل بها.

وحول ذكرياته فى البرتغال أجرت زوجته حوارا قصيرا نُشر فى جريدة الشعب فى ٥ مارس ١٩٩٢م بعد عودتها من الجزائر للقاهرة تحدثت فيه عن ذكرياتها مع «الشاذلى» فى البرتغال فقالت:

«فورانتقالنا إلى البرتغال فى سبتمبر ١٩٧٥م بدأ السفير «الشاذلى» بإنشاء مركز لتعليم اللغة العربية فى محاولة جادة لنشرها بين شعب البرتغال، وجعل من بيته أول مكان يُرفع منه أذان الصلاة منذ أن ترك

المسلمون البرتغال فى العصور القديمة، بعد أن حول الدور الأرضى من منزله إلى جامع يقصده مسلمو البرتغال للصلاة، وكان حارس المنزل يقوم برفع الأذان للصلاة، ثم حل محله السائق التركى للسفير الذى لم يكن يعرف من العربية سوى كلمات الأذان والإقامة، ومع مرور الأيام أصبح بيت «الشاذلى» مكانا يقصده المسلمون للاحتفال هناك بأعيادهم فكانوا يقضون مع أسرهم احتفالات العيد فى بيت السفير «الشاذلى»! وأول هذه الاحتفالات كانت حدثا كبيرا تحدثت عنه الصحف وحضره الصحفيون والمصورون.

لازال الحديث لزوجة «الشاذلى»:

وشجع ذلك السفير «الشاذلى» أن يطلب من الحكومة البرتغالية التصريح ببناء مسجد للمسلمين هناك، وصدرالتصريح بالفعل وتم جمع التبرعات لبنائه ووضع «الشاذلى» حجر الأساس وأقيم المسجد على مساحة كبيرة، وأرسل «الشاذلى» إلى مصر فى طلب داعية من الأزهر، وتم استئجار شقة للشيخ الداعية كانت إحدى غرفها مدرسة لأبناء الجاليات الإسلامية ليتعلموا فيها الإسلام، إلى جانب أنشطة ثقافية أخرى وضع بها «الشاذلى» بصماته فى البرتغال خلال ثلاث سنوات متتالية قضاها هناك من ١٩٧٥م حتى ١٩٧٨م لتُزيد إنجازاته الخيرية والإنسانية فى البرتغال من شهرته هناك. {إلى هنا انتهى حوار زوجة الشاذلى جريدة الشعب}

السادات يعاود مهاجمة الشاذلى من جديد

فـى إبريل ١٩٧٨م صدر للرئيس السـادات الطبعة الأولى من كتابه «البحث عن الذات» الذى سـجل فيه للتاريخ مسـئولية «الشـاذلى» عن الثغـرة وذلك فى الفقرة الثانية من صفحـة ٢٧٣ من الكتاب والتى جاء فيها:

إنه فى يوم ١٦ أكتوبر أرسل الرئيس السادات رئيس الأركان الفريق «سعد الشـاذلى» للتعامل مع الثغرة ورأى السـادات أنه كان من السهل جـدا التعامل مع الثغرة فـى ذلك اليوم ولو أن «الشـاذلى» نفذ ما طلبه السـادات منه والفريق أحمد إسماعيل فى التوقيت الذى حدده السادات له لأصبح من السـهل القضاء على الثغرة، ورأى السـادات إنه كان فى إمكان «الشاذلى» أن ينتهى من العملية كلها بعد وصوله بساعات، فاتهم «الشـاذلى» بإضاعة الليلة بأكملها فى جمع المعلومات وإنشـاء قيادة له ينافس بها قيادة غريمه الفريق أحمد إسماعيل.

وأضاف السادات فى نفس الصفحة من كتابه:

إن قـوات الصاعقة كانت قـد تقدمت إلى الدفرسـوار ووصلت فعلا إلى نقطة النزول واعترف الإسـرائيليون بشراسـة قتال قوات الصاعقة والقوات الخاصة.... ولكن «الشـاذلى» أعطاهم الأمر بالانسـحاب إلى أن يجمع المعلومات وكانت النتيجة أن توسع اليهود فى الثغرة.

وكان «الشـاذلى» يرى ضرورة سـحب بعض قواتنا من شـرق القناة للمعاونة فى القضاء على الثغرة لأن الغرب مهدد... بينما رأى السادات

أن هذا ما كان يريده الإسـرائيليون... فذهب الرئيس فى منتصف ليلة ١٩ / ٢٠ أكتوبر إلى القيادة حتى يتخذ قرارا مهما بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة وأن السادات جمع القادة فى هذه الليلة وكانوا جميعا من رأى السـادات بعدم سحب قوات من الشرق، فأعطى السادات الأمر بأن لا ينسـحب جندى واحد ولابندقية واحدة ولا أى شىء من شرق القناة وأن التعامل مع الغرب يتم حسـب الأوضاع الموجودة ورفض السـادات بذلك خطة الشـاذلى لمواجهة الثغرة. إلى هنا انتهت فقرة أسـباب عزل السادات للشاذلى التى وردت فى كتاب (البحث عن الذات)وكانت سببا فى اشتعال الخلاف بين «الشاذلى» والسادات.

ومما زاد من غضب «الشـاذلى» أن السـادات ذكر فـى كتابه نفس تصريحه من قبل أن الشاذلى عاد منهارا فى ١٩ أكتوبر، فاضطر السادات أن يعطى تعليماته فى هذه الليلة بعزل «الشاذلى» من رئاسة الأركان.

ذلـك لأن «الشـاذلى» رأى أن تصريحات السـادات فى كتابه حملت الكثـير من المغالطات ووصفها بأنها تصريحـات ظالمة وكاذبة لأن فيها إدانـات وتلميحـات بتقصير «الشـاذلى» فى واجبه العسـكرى فى أيام الثغرة ومخالفته لتعليمات الرئيس، وكان رأيه أن هذا لم يحدث.

وفى ١٩ يونيه ١٩٧٨م قام «الشـاذلى» بالرد على ادعاءات السـادات فـى مؤتمـر صحفى كبير فى سـفارة مصـر بالبرتغال ضـم العديد من الشخصيات الدبلوماسـية الهامة دافع فيه «الشاذلى» عما أسماه سمعته

العسكرية وأنكر وبإصرار ما ورد فى كتاب السادات من انهياره، وذكر أن السادات هو الذى انهار مرتين فى أيام الثغرة ووصف زيارة السادات للقدس فى نوفمبر ١٩٧٧م بأنها خطأ سياسى من السادات، ورأى أن الخطأ الثانى الذى ارتكبه السادات هو إقباله على كتابة مذكراته وهو لايزال فى السلطة ووصفها «الشاذلى» بأنها أول حالة لرئيس دولة فى العالم يكتب مذكراته وهو فى السلطة .

وحول حقيقة انهيار «الشاذلى» جاء فى شهادة محايدة للمشير الجمسى سجلها للتاريخ فى صفحة ١١٦ من كتاب محمود فوزى (أسرار الصدام بين السادات والشاذلى): أن «الشاذلى» عندما عاد من الجبهة فى ٢٠ أكتوبر لم يكن منهارا كما وصفه الرئيس السادات فى مذكراته بعد الحرب.

إحالة الشاذلى إلى محكمة القيم!

وظل إحساس «الشاذلى» بالظلم يشعل فى صدره غضبا لا يهدأ دفعه بالإخلال بواجبات وظيفته الدبلوماسية، فبحلول شهر يونيه ١٩٧٨م بدأ «الشاذلى» بالتهجم على النظام فى مصر ولم يلتفت إلى أن عمله جزء من منظومة الدولة التابع لها (مصر)، وسجل مبرراته وأسبابه فى خطاب ووزعه على وكالات الأنباء فى البرتغال، وكان لهذا العمل رد فعل أغضب السلطات فى مصر فأصدر وزير الخارجية وقتها محمد

إبراهيم كامل فى ٢٠ / ٦ / ١٩٧٨م قرارا بوقف السفير «الشاذلى» عن العمل سفيرا لمصر فى لشبونة بالبرتغال لإخلاله بواجبات وظيفته واستدعائه للعودة والمثول أمام مجلس تأديب وفقا لقانون السلك الدبلوماسى والقنصلى. (خبربالأهرام بتاريخ٢٠ / ٦ / ١٩٧٨).

فى الوقت الذى قابل فيه السادات مهاجمة «الشاذلى» وتحديه له بقرار إحالة «الشاذلى» إلى المدعى الاشتراكى الذى قرر بدوره إحالة «الشاذلى» إلى محكمة القيم، والتى قضت وقتها بحرمانه من الحقوق المدنية لمدة خمس سنوات.

وبرغم ذلك،لم تنل هذه الأحكام من إصرار «الشاذلى» على استمراره فى الدفاع عن نفسه ضد تصريحات السادات لأنه كان يرى أن هذه الأحكام ظالمة وإحساسه بالظلم كان أكبر من أى عقاب، وعندما تمت اتفاقية كامب ديفيد فى نفس العام ١٩٧٨م انتهزها «الشاذلى» فرصة ليوجه لبنودها انتقادات حادة وأكد أنها لصالح إسرائيل وضد مصلحة مصر، وحذر من آثارها السلبية مستقبلا فى مصر.

هذه المرة دفع «الشاذلى» ثمنا باهظا لتهجمه على النظام فى مصر وخروجه على العرف الدبلوماسى وذلك بفصله من منصبه سفيرا لمصر بالبرتغال لتنتهى بذلك مهمته الدبلوماسية فى البرتغال.

وأصبح على «الشاذلى» إما أن يعود إلى وطنه مصر لينال عقابه، أو أن يختار أن يعيش فى بلد آخر، ولما خشى العودة إلى مصر تحسبا لانتقام

السادات، فأراد أن يتجنب تلك المخاوف باختياره الجزائر ليعيش فيها، إذ كانت الجزائر فى ذاك الوقت بلدا ديمقراطيا تحكمها جماعات (مجلس قيادة الثورة)، إلى جانب أن الجزائر كانت من الدول المعارضة لاتفاقية كامب ديفيد، وكانت من الدول المقاطعة لمصر آنذاك، وجاء اختياره هذا تجنبا لوقوعه تحت سيطرة الحاكم فى أى دولة عربية أخرى خاصة بعد رفضه لطلب الرئيس صدام حسين فى استضافته فى العراق. عاش «الشاذلى» بها ١٤ عاما منذ مغادرته البرتغال ١٩٧٨م حتى عودته لمصر ١٩٩٢م. فهل انتهت متاعبه بانتقاله للجزائر؟

❑❑❑

الجزائر تستقبل الشاذلى بحفاوة بالغة

انتقل «الشـاذلى» ليعيش فـى الجزائر ضيفا سياسـيا يقيم على نفقته الخاصة ولم يكن لاجئا سياسيا، وهناك وجد الحياة الآمنة التى كان يبحث عنها فقد رحبت السـلطات باستقباله وامتدت إقامته فيها ١٤ عاما مـن ١٩٧٨م حتى عودته لمصر فى ١٩٩٢م، وحظى «الشـاذلى» هناك بإقامة فاخرة وحفاوة بالغة تكريما لمكانته العسـكرية فى الوطن العربـى كقائد أول حرب عربية منتصرة فـى تاريخ العرب الحديث، وهناك وجد الفرصة لانطلاق نشـاطاته الكثيرة والتى تحدى بها غربته وقاوم بها وحشة البعاد عن وطنه، فاقتنى فى منزله مكتبة هائلة ضمت أكثر من ٥٠٠ كتاب تحمل عناوين هامة سياسـية وعسـكرية وإنسانية تعكس شـغفه بالثقافة والمعرفة، وكان «الشـاذلى» يُدعى إلى المؤتمرات والندوات متحدثا ليُلقى فيها محاضراته.

وأصدر هنـاك جريـدة «الجبهـة» ليكتـب مقالاته الشـهيرة على صفحاتهـا واتخذ منها متنفسـا يكتب فيها عن ظلم السـلطات المصرية له ويدافع عن نفسـه ويعارض على صفحاتها بنود اتفاقية كامب ديفيد التى أبرمها السـادات مع إسرائيل وجعلت من سـيناء منطقة منزوعة السلاح، واستمر نشاطه فيما أسماه (الجبهة الوطنية المصرية بالخارج)

والتى ضمت ٥١ شخصية مصرية كانت من بينهـا د. حكمت أبو زيد الوزيـرة السـابقة، وعبد المجيد فريد الوزير السـابق، ومحمود أمين العـالم الكاتـب وغيرهم، لإعلان معارضتهم سياسـة الحكم فى مصر، ونتيجة ذلك أعلن المدعى العام الاشـتراكى فى مصر إحالة «الشاذلى» و٨ آخرين إلى محكمة القيم وإبلاغ نيابة أمن الدولة لمحاكمتهم جنائيا.

كما نشـرت جريدة الأحرار فى ١ / ١٠ / ١٩٨١م أن «الشاذلى» اتهم الرئيس السـادات بالخيانـة والعمالة.. وأذاع ذلك فـى إذاعات العالم ونشـره فى المجـلات الأجنبيـة ودول الرفض العربيـة، ولم يكتف «الشاذلى» بذلك ليطفئ غضبه وشعوره بالظلم الحبيس بصدره، بل أرسل خطابا إلى النائب العام المصرى من قبل فى ١٩٧٩م يطلب منه أن يحاكم الرئيس السـادات وأرفق بخطابـه صحيفة اتهام الرئيـس وذكر فيها للنائب العام أن شـرط حضوره لمصر هـو أن تتم محاكمته علانية تجنبا لانتقام السـادات منه، فبدون المحاكمة قد يسجنه السادات أو يقتله. (المذكرة وردت فى مذكرات الشاذلى وهذه كانت تصورات الشاذلى)

حرمان الشاذلى من حقوقه السياسية وفرض الحراسة على أمواله

وفـى ١٥ / ١١ / ١٩٨١م قضـت محكمـة القيم بحرمان «الشـاذلى» وآخريـن من أعضاء (الجبهة الوطنية المصرية) من حقوقهم السياسـية وفرض الحراسـة على أمواله وممتلكاته، وجـاء فى قرار المحكمة أن

قانون حماية القيم من العيب رتب المساءلة السياسية حيال كل ما نشر أو أذيع من شأنه الإضرار بمصلحة البلاد القومية. وحيث إن المتهمين لم يحضروا فقضت المحكمة بحكمها غير القابل للمعارضة.

الشاذلى يرد على اتهامات السادات بمذكراته عن حرب أكتوبر

وزادت هذه الأحكام من إحساس «الشاذلى» بالظلم من الأحكام التى تتوالى ضده بينما السادات ينعم بمدح كتابه (البحث عن الذات) الذى احتوى فى رأى «الشاذلى» على كثير من المغالطات، وكان من الصعب حسب شخصية «الشاذلى» العنيد فى الحق أن يستسلم لشعوره بالظلم، وما كان يرضيه ويضمد جراحه وينصفه أمام التاريخ إلا إتمامه لكتابة مذكراته عن حرب أكتوبر والتى كان قد بدأها فى البرتغال، ليدافع فيها باستفاضة عن سمعته العسكرية ويرد فيها بالوقائع المؤرخة والتفاصيل العسكرية الدقيقة على ما رأى أنها ادعاءات باطلة من السادات، ويكشف من وجهة نظره الحقائق بالدلائل والأرقام والحسابات والتواريخ الدقيقة على الأحكام التى صدرت ضده فى مصر والتى وصفها بالظالمة.

ولم يتصور «الشاذلى» بعد انتهائه من تأليف مذكراته عن حرب أكتوبر فى كتاب أن نشر الكتاب سيلاقى صعوبات بالغة فى الدول الأجنبية، فبالقطع ما كان يمكن لهذا الكتاب وما يحمله من هجوم ضد

السادات أن يصدر فى مصر، ولكن ابنته (شهدان الشاذلى) التى كانت تعيش وقتها مع زوجها فى أمريكا ذللت له الصعاب، وقامت بنشر مذكرات والدها عن حرب أكتوبر بعدما رفض ناشرون فى الخارج نشر هذه المذكرات، واضطرت إلى طبع الكتاب على نفقتها الخاصة لتكون لها اليد الطولى فى إظهار براءة والدها للتاريخ. وهنا يلفت نظرى نتاج إعداد «الشاذلى» الأب ابنته شهدان منذ الصغر فى شجاعتها ومثابرتها الدءوبة فى رحلتها الشاقة لصدور كتاب والدها برغم ما واجهته من صعوبات النشر ليحصد «الشاذلى» فى مساندتها حصاد تنشئته لها.

وبعد طول جهد صدر الكتاب (مذكرات حرب أكتوبر) واعتبر «الشاذلى» هذه المذكرات تاريخية وفريدة لأنها السيرة الذاتية الوحيدة لقائد عربى معاصر، كتبها آسفا وغاضبا ومُكرها بعد أن قضى عمره كله جنديا فى خدمة بلاده، وأهداها إلى جنود وضباط مصر البواسل وعبرفيها عن فخره بكل يوم أمضاه بينهم رئيسا للأركان والذى تم خلاله التخطيط والتنفيذ لأول هجوم عربى ناجح ضد إسرائيل، وأشار إلى أن أجزاء القصة معروفة لآلاف الأفراد وبعضها يعرفها المئات وأجزاء أخرى لايعرفها إلا أفراد يُعدون على الأصابع.

واختتم «الشاذلى» مذكراته عن حرب أكتوبر بالإشارة إلى الخطاب الذى وجهه إلى النائب العام المصرى وطالب فيه بمحاكمة السادات واتهمه بالإهمال الجسيم أثناء إدارة الثغرة، وتزييف التاريخ والكذب

وإساءة استخدام السلطة ضد «الشاذلى». واختتم الشاذلى طلبه بقوله: «والآن وقد أذيعت الأسرار كلها التى كان يخفيها السادات، فقد آن الأوان أن نجرى حوارا فى مصر نناقش فيه أخطاءنا ونحدد المسئول عنها لنعرف من هم أبطال حرب أكتوبر الحقيقيون».

وتم نشر الكتاب باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية فى دول كثيرة إلا مصر، وأغضب ذلك السلطات السياسية والقضائية فى مصر، وصبت مذكرات «الشاذلى» من جديد بمزيد من الزيت على نار الخلاف المشتعل بينه وبين السادات فزادتها تأججا واشتعالا.

الحكم غيابيا على الشاذلى بالسجن ثلاث سنوات

وكان من الصعب على السادات من موقعه رئيسا للجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة أن يتقبل ما جاء فى مذكرات «الشاذلى» من هجوم ضده، فجاء الرد من السادات بمحاكمة «الشاذلى» وصدر حكم المحكمة العسكرية غيابيا بالسجن ثلاث سنوات «للشاذلى» بتهمة إصدار كتاب عن حرب أكتوبر دون استصدار إذن كتابى من السلطات المصرية العسكرية بالنشر وهى تهمة لم ينكرها «الشاذلى».

وأما التهمة الثانية وهى إفشاء أسرار عسكرية فى كتابه فقد رفضها «الشاذلى» بدعوى أن تلك الأسرار المزعومة كانت أسرار حكومية وليست أسرارا عسكرية، ورأى أن الفرق كبير بين الاثنين، وبرغم ذلك صدر

الحكم غيابيا بسجن الشاذلى ثلاث سنوات! وحرمانه من التمثيل القانونى وتجريده من حقوقه السياسية ووضع أملاكه تحت الحراسة .

لكن «الشاذلى» لم يعترف بالمحاكمة لأنها أجريت غيابيا، ولم يُخطر بها وعلم بها من الصحف، ودفعه ذلك أن يستمر فى معركته ضد السلطة فى مصر مدافعا عن تاريخه العسكرى من خلال لقاءاته ومؤتمراته التى كان يشارك فيها ويجيب عن أسئلة الصحفيين حول مشكلته مع النظام فى مصر، واتهم السلطة المصرية بالديكتاتورية لأنها لم تتح له فرصة الدفاع عن نفسه، وأكد على براءته فى حالة محاكمته حضوريا.

وبدأ «الشاذلى» يواجه حربا إعلامية من إعلام وطنه مصر، عندما شنت الأقلام الصحفية التابعة للنظام فى مصر هجوما شرسا ضد الفريق «الشاذلى» واتهمته بمبالغته فى إحساسه بالظلم وكيلت له التهم الباطلة منها اتهامه بأطماعه بالسلطة فى مصر وبالخيانة لوطنه (روزاليوسف فى ٢٣ / ٥ / ٢٠٠٥م بعنوان الشاذلى معارض من أجل «كعكة السلطة») وصبت عليه أقبح السباب واللعنات تحت عنوان «الشاذلى فى زبالة التاريخ» (الأخبار فى ١٣ / ١٠ / ١٩٨١م بقلم وجيه أبو ذكرى).

(وفى الأخبار ٢١ / ١٠ / ١٩٨١م كتب موسى صبرى - الذى دافع عن الشاذلى من قبل - كتب بعد صدور الحكم بالسجن ضد الشاذلى يهاجم الشاذلى بشراسة ويصف كلماته بالسوقة والسفالة وانحطاط

الخلـق، واتهمه ظلما بإرسـال متفجرات لترتيـب أعمال إرهابية ضد مصـر، واتهمه بشـماتته فى قتل السـادات، وطالب فـى نهاية مقاله بلعنة السـماء على الشاذلى الذى باع وانحنى حتى لامست جبهته عفن المستنقع).

وطالبت إصدارات أخرى بمقاطعة «الشـاذلى» ووصفته بأبشع صفات لاتليـق ببطل فى الجيش المصرى يحمل رتبة فريق، وكان يوما رئيسـا لأركان الجيش المصرى والذى حقق تحت رئاسـته لأركان الجيش أكبر انتصار عسـكرى لمصر والعـرب فى حرب أكتوبـر ١٩٧٣م! وذلك فى الوقت الذى كان فيه «الشـاذلى» يتلقى دعوات من ملوك ورؤسـاء عرب منهم صدام حسـين الذى كرر دعوته للشـاذلى يدعوه للعمل فى العراق تكريما لمكانته العسـكرية فى الوطن العربى، لكن «الشـاذلى» رفض كل العروض ولم يتراجع عن الدفاع عن نفسه لإثبات براءته.

ولكن كيف كان تأثير هذه الحرب النفسية ضد «الشاذلى» فى حياته فى الجزائر التى قضى فيها قرابة ١٤ عاما؟

❑❑❑

الشاذلى ينطلق بنشاطاته فى الجزائر

كعادة «الشـاذلى» بعناده ضـد ألم الظلم لم يترك لهمومـه الثقيلة أن تنـال منه بل سـارت معركتـه مع النظام فـى مصر مع ممارسته لاهتماماته الثقافية والسياسية وحياته الاجتماعية فى خطين متوازيـين لا يؤثر أحدهما على الآخر، يحرسـه فـى ذلك إيمانه بالله وبأنـه لو اجتمعت الإنس والجن على أن يضروه بشـىء فلن يضروه إلا بما كتبه الله عليه.

وأصبحت قضية «الشاذلى» وصراعه مع السادات قضية رأى عام صالت فيها الأقلام الصحفية وجالت، ولم يكن أحد يعلم بالتحديد فى أى دولة كان يعيش «الشـاذلى» بعد صدور الحكم ضده بالسـجن ثلاث سنوات، وتضاربت الآراء ثـم أجمعت على أنه يعيش فى ليبيا، ولكن الصحفية سوسن أبو حسـين بمجلة أكتوبر عرفت بالصدفة من مسئول فلسطينى كانـت تجرى معه حـوارا بأمر إقامة «الشـاذلى» بالجزائر فقررت فى جـرأة صحفية أن تقـوم بزيارته فى منفاه المختـار بالجزائر، لتعرف منـه حقيقة صراعه مع السـادات والتى جمعتها فيمـا بعد فى كتابها (قصتى مـع النظام) وكانت زيارتها «للشـاذلى» تجربة صحفية خاصة قالت عنها:

(عندما سافرت إلى الفريق «الشاذلى» فى الجزائر عام ١٩٨٢م أتيحت لى فرصة التعرف إلى جوانب إنسانية أخرى فى شخصية الفريق «الشاذلى»، وبينما كنت أسجل آراءه بالورقة والقلم كان الفريق «الشاذلى» يطلب منى أن أكتب على مسطرة وبمسافات متساوية وبالقلم الرصاص والممحاة الجلد، وأن أحافظ على الهوامش وألا أقوم بالشطب فى أى فقرة ولكن أمحوها (بالأستيكا) حتى يبدو ما أكتبه مريحا فى الشكل والمضمون، إلى هذا الحد بلغت دقته، وكنت إذا خالفت تعليماته يرفض الحديث معى حتى ألتزم، والأكثر من ذلك أثناء تسجيلى لأحاديثه كان يقوم بتحفيظى لكل المصطلحات العسكرية ويشرح لى التشكيلات ونوعية الأسلحة وتعريفى بالفرقة والكتيبة والأرقام العسكرية، وعلمنى الفروق بين الأسرار العسكرية والمعلومات الحكومية، حتى إذا تحدثت فيما بعد عن حرب أكتوبر وأنا مدنية اتسم حديثى بالدقة مثل رجال القوات المسلحة وقد عانيت من صعوبة ذلك كثيرا، ولكنى التزمت واكتسبت بذلك العقيدة القتالية وصولا للحقيقة، ويرجع الفضل فى ذلك للفريق «الشاذلى» وكل ذلك أثرى تجربتى الخاصة معه فى الجزائر.كان الفريق «الشاذلى» مهتما بشغف شديد بأحوال العالم العربى مهموما بقضاياه وتمنى أن يكون العالم العربى كتلة واحدة، لكنه رأى أن حكام العرب هم السبب فى الفرقة بين الدول العربية، وأنه لن تتحقق تلك الوحدة التى نحلم بها إلا إذا تغيرت الأنظمة العربية، وبالفعل صدقت توقعاته

مع ربيع الثورات العربية فى ٢٠١١م كان «الشاذلى» حريصا أن يشترك فى إصدارات عسكرية أجنبية، يواظب على الاطلاع على ما ينشر فيها بانتظام للتعرف على الجديد فى المجالات العسكرية، وكان يرى أن الانفتاح الإعلامى الذى أصبح عليه العالم أنهى فكرة الأسرار العسكرية وأصبحنا نطلع بسهولة على ما يجرى فى أى دولة فى العالم وأنواع الأسلحة التى تستخدمها، وكان الفريق «الشاذلى» يعشق الكتابة وكان بارعا فيها وصدرت له مؤلفات.

وتستكمل سوسن أبو حسين حديثها فتقول:

على الرغم من الحياة المترفة التى وفرتها له السلطات فى الجزائر فإن الفريق «الشاذلى» كان يعيش حياة بسيطة جدا يتناول فيها المأكولات الشعبية البسيطة (الكشرى، الفول المدمس وغيرها) ،وكان يتناول كوبا واحدا من الشاى أو الشاى بالحليب طوال اليوم، ولم يكن يدخن على الإطلاق، كان يستمتع بكل شىء دون إسراف وكان يمارس رياضته اليومية بانتظام المشى والسباحة. وكان يهوى أن يؤدى كل شىء بنفسه دون مساعدة أحد، فلم يستعن يوما بسائق خاص كلفته السلطات بخدمته، بل كان يقود سيارته المرسيدس بنفسه ويتنقل بها بين العواصم التى عمل بها.

وقد اصطحب «الشاذلى» زوجته السيدة زينات السحيمى للإقامة معه،والتى كانت سرا من أسرار نجاحه، فكانت

تحترم أسرار عمله العسكرى ولا تسأله قط عنها، وكانت توفر له المناخ الذى يحتاجه عملا بنصيحة والدها الضابط متولى باشا السحيمى الذى كان مديرا للكلية الحربية وقت زواجها من «الشاذلى»، فعرفت أن الله تعالى لم يهب «الشاذلى» عبقريته العسكرية والإنسانية وحسب، ولكن وهبه أيضا الزوجة العظيمة التى نشأت فى بيت عسكرى لتنتقل بخبرتها الإنسانية زوجة فى بيت الشاذلى، فحفظت أسراره وأعانته على ما لاقاه فى حياته من أزمات. (إلى هنا انتهى حديث سوسن أبو حسين عن تجربتها الصحفية مع «الشاذلى» فى الجزائر)

جوائز وشهادات من الجد .الشاذلى. لأحفاده

وكانت السلطات الجزائرية قد خصصت للفريق «الشاذلى» احتفاء بإقامته على أرضها فيلا فاخرة حولها حدائق واسعة وملاعب وحمام للسباحة وسيارة خاصة وحرس خاص لحمايته، مزايا عظيمة ربما لاتتوفر إلا لرئيس دولة، واعتادت أسرة «الشاذلى» بناته الثلاثة (شهدان وسامية وناهد الشاذلى) وأحفاده أن يقوموا بزيارته فى الجزائر بالتناوب لقضاء إجازتهم معه وذلك خلال ١٤ عاما قضاها هناك، وكعادة الفريق «الشاذلى» كان يخطط ويرتب لكل شىء بدقة بالغة، ولأنه كانت تغلب عليه طبيعته العسكرية فى دقته وفكره المنظم فكان يضع خطة لقضاء إجازة أحفاده معه فى الجزائر ويحكى عن ذكرياته مع الجد «الشاذلى» فى الجزائر حفيده رجل الأعمال كريم أكرم فيقول:

كنا نشعر بالتميز بمجرد وصولنا إلى مطار الجزائر، فقد كنت وإخوتى وأبناء خالتى فى ١٩٨٥م وقت الزيارة أطفالا فى سن العاشرة والثانية عشرة، ووقتها جاء لاستقبالنا بالمطار حرس خاص لتوصيلنا الى البيت الفاخر الذى كان يعيش فيه جدى الفريق «الشاذلى» حياة مترفة مثل حياة الرؤساء، وبرغم ذلك كان جدى يخبرنا منذ اللحظة الأولى لوصولنا أننا سنعيش معه حياة بسيطة عادية، وأننا سنقضى إجازتنا فى معسكر تدريبى وليس ترفيهى كما كنا نتوقع، كان جدى ينتهز فرصة زيارتنا له لتعليمنا وتدريبنا على مهارات عدة، فيطلعنا على جدول المهام والأعمال والتكليفات التى أعدها لنا والتى سنقوم بها طوال مدة إقامتنا، وكان يضع لتنفيذها جدولا زمنيا يوميا دقيقا، فمنا من كان يتولى تنظيف حمام السباحة، وآخر يتولى العناية بمزروعات الحديقة، وآخر مهمته الاهتمام بالملاعب، والمهام بالتناوب والتبادل كل حسب طاقته وعمره وقدراته وذلك برغم وجود خدم يمكنهم القيام بهذه المهام أسرع وأفضل منا، لكن جدى كان يهوى تعليمنا الاعتماد على النفس فى كل شىء من خلال هذه المهام، وكان يعلمنا النظام فى كل شىء حتى فى تناول المشروبات والأطعمة؛ فكان يحدد لكل واحد منا مشروبين فى اليوم ويترك لنا حرية اختيار وقت تناولهما. وكان يحرص على تسجيل ذكرياتنا معه فى صور تذكارية كان يقاوم بها مشاعر الغربة وتذكره بنا فى أيام البعاد.

ولازال الحديث للحفيد كريم أكرم:

وكان جدى يجرى بيننا المسابقات فى السباحة والتنس والرماية باستخدام بنادق الرش، وأطلق على هذه الألعاب تسمية (الألعاب الأولمبية) لتعدد ألعابها، أما الشطرنج فكان الجد «الشاذلى» يجمع لنا قصاصات الجرائد التى نشرت عن بطولة العالم فى الشطرنج وكانت قرابة ٣٠ قصاصة ويطلب منا قراءتها قراءة جيدة لنتعرف على تحركات القطع الفائزة قبل بدء اللعب وكان يشترك معنا فى هذه اللعبة، وكنا نخرج معه إلى الشاطئ ليعلمنا أهمية المد والجزر فى البحر وكيفية الاستفادة منه، وفى نهاية الإجازة قبل عودتنا إلى مصر كان يقيم لنا احتفالا صغيرا عند حمام السباحة يوزع فيه الجوائز وشهادات التقدير الموقعة باسمه وبها درجات التفوق كل حسب اجتهاده، لنحتفظ بها تذكارات لذكريات رائعة قضيناها معه أحفادا محظوظين مع «الشاذلى» الجد الرائع. (انتهت رواية كريم أكرم)

هكذا كان الفريق «الشاذلى» يتعامل فى حياته بكل جرأة وإصرار ونظام بالغ الدقة أينما كان، وهو يتطلع فى أيامه القادمة إلى يوم يعود فيه إلى وطنه وأرض انتصاراته فهل ستحقق له الأيام القادمة أمنيته؟

❑❑❑

القبض على «الشاذلى» وسجنه بدون محاكمة!

خلال ١٤ عاما قضاها الفريق الشاذلى فى غربته من نهاية ١٩٧٨م حتى مارس ١٩٩٢م تغير الكثير فى مصر، رحل فيها الرئيس السادات وتولى الحكم بعده الرئيس حسنى مبارك لسنوات تقادمت خلالها الأحكام الصادرة ضد الفريق «الشاذلى» وأصبح المناخ السياسى فى مصر يسمح بعودة الفريق «الشاذلى» إلى مصر، إذ كان «الشاذلى» قد أصابه ملل الغربة فقرر العودة إلى مصر مهما كانت النتائج، وساعده على قرار العودة مسئول كبير فى الدولة وعده وقتها بأن لن يناله أذى عند عودته إلى وطنه مصر خاصة بعدما تقادمت قضيته وسقط عنه الحكم فيها، وامتدت مدة حكم مبارك وقتها ١٩٩٢م إلى ما يزيد عن عشر سنوات مدة تسمح بتقادم الحكم القديم الذى صدر ضده (٣سنوات سجن) فكان قرار «الشاذلى» أن يعود لوطنه مصر فى ١٤ مارس ١٩٩٢م.

وفى هذا اليوم، كانت أسرته تنتظر وصوله بشوق فى مطار القاهرة، ولكن كانت المفاجأة الصادمة أن فوجئ الفريق «الشاذلى» بالقبض عليه لحظة وصوله إلى أرض المطار! فى استقبال ينبئ بمتاعب كبيرة تنتظره فى مصر، فكانت مفاجأة كبيرة «للشاذلى» لحظة رجوعه أرض الوطن وصادمة أيضا للمسئول الكبير الذى وعده بالأمن فى وطنه!

ولما طال انتظار أسرة «الشاذلى» لخروجه مع ركاب الطائرة ولم يخرج لهم حاولت أسرته الاستعلام عن سر تأخره من مسئولين بالمطار فلم يجبهم أحد، فأدركت أسرته أن شيئا ما قد حدث له، فعادوا إلى منزلهم يبحثون فى الإذاعات الأجنبية عن خبر عن عودة «الشاذلى» إلى مصر حتى عرفوا من إذاعة (مونت كارلو) بوصوله إلى مصر والقبض عليه وقيادته إلى مكان مجهول، فاتصلت زوجته السيدة زينات السحيمى بالدكتور مصطفى الفقى برئاسة الجمهورية وهددت بإضرابها عن الطعام واعتصامها أمام مبنى الرئاسة حتى تعرف ماذا حدث لزوجها ؟ وبعد ساعات جاءها الرد وعرفت أن زوجها الفريق «سعد الشاذلى» قيد التحفظ فى المجموعة ٧٥ مخابرات بعد مصادرة حقائبه بما فيها ملابسه ومقتنياته ومؤلفاته وكتبه وصوره وأوراقه الخاصة ومقالاته و٥٠٠ كتاب محتويات مكتبته الخاصة التى جلبها معه وكانت تحمل عناوين سياسية وعسكرية هامة، وتم سحب الكروت العسكرية للعلاج منه وجواز سفره وأوراق أخرى هامة، وتم الاحتفاظ بملفه فى رئاسة الجمهورية حتى يصعب الاطلاع عليه، وتحولت ذكرياته واجتهاداته وثقافاته ومؤلفاته وكل شىء يخصه فى لحظة فارقة قيد التحفظ ١٩ سنة من حياته قضاها بعيدا عن وطنه فى لندن والبرتغال والجزائر تمت مصادرة أوراقها فى لحظة، وكتبت جريدة الشعب بتاريخ ٢٨ / ٧ / ١٩٩٢م تندد بمصادرة أمتعة الشاذلى ومن

بينها سيارته المرسيدس القديمة وطلبت الجمارك من أسرته وقتها دفع ٩٥ ألف جنيه لاستلام السيارة .

ولم يخطر ببال «الشاذلى» ولا المسئول الذى وعده بالأمان عند عودته لمصر ولا بال أحد أن الرئيس مبارك سيحرك القضية من جديد لما وجد فى رجوعه فرصة مناسبة لتنفيذ الحكم القديم والانتقام من «الشاذلى» فكان القبض على «الشاذلى» وسجنه دون محاكمة بأمر من الرئيس مبارك مفاجأة للجميع وللفريق «الشاذلى» نفسه الذى لم يكن بينه وبين مبارك ما يدعو مبارك للانتقام منه.

وعلى الفور تحرك محامو «الشاذلى» وتحركت معهم المنظمات الدولية لحقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية والرأى العام فى مصر، أسرع الجميع بالدفاع عن «الشاذلى» ورأوا أن يرفعوا التماسا للرئيس بإعادة النظر فى الحكم فالأمل كبير فى براءة «الشاذلى» إذا ما تمت محاكمته محاكمة عسكرية عادلة، ولكن للأسف تم رفض الالتماس، وكذا رفض مساعى محاميه ومساعى كل المنظمات الدولية.

صحفيون مدافعون عن «الشاذلى»

وانقسمت أقلام الصحافة منهم من يدين الشاذلى ومنهم من يبرئه، ووصفته وقتها الأقلام المدافعة (بأكتوبر السجين) بقلم محمد أبوالفتح، وكتب يوسف سعد (الشاذلى المفترى عليه) وكتب د. محمود السقا

بعنوان (سلام الله ياشاذلى)، ورحب مصطفى أمين فى عموده اليومى «فكرة» بعودة «الشاذلى» وطالب بأن تحتضن مصر أبناءها الأفذاذ العائدين إليها ولا تدوسهم بالأقدام فمصر فى حاجة إليهم، وتبنت جريدة الشعب قضية «الشاذلى» ودافعت عنه فى مقالات عديدة منها مقالة د. محمد حلمى مراد بعنوان (حياة الشاذلى أمانة فى عنق مبارك ٨ / ٩ / ١٩٩٢م)، ومقالة محمد أبو الفتح (لماذا الاستمرار فى سجن الشاذلى) وكتبت جريدة الأهالى (أوقفوا الجرح الدامى بالإفراج عن الشاذلى ٧ / ١٠ / ١٩٩٢م) وغيرها من المقالات. أما الأقلام المعارضة فطالبت بالقصاص من الشاذلى وادعت باطلا أنه اضطر أن يعود لمصر بعد أن رفضت دول عربية وأجنبية لجوءه إليها وذلك فى جريدة المساء ١٥ / ٣ / ١٩٩٢م، بينما طالبت روزاليوسف بمقاطعته.

برغم أن عودة «الشاذلى» لم تكن مفاجأة كما ادعت بعض الأقلام، فقبل عودته بأربعة أيام كان «الشاذلى» فى لندن قد أعلن عن عودته لمصر ورغبته فى إعادة المحاكمة لثقته ببراءته، كما أبلغ سفير مصر فى الجزائر من قبل ذلك بسنوات باستعداده للعوده لمصر (المصور فى ٢٠ / ٣ / ١٩٩٢م). ولكن للأسف فشلت جميع المحاولات والمساعى القانونية والإنسانية والإعلامية لإنقاذ «الشاذلى» من عقوبة السجن التى كانت قد سقطت من قبل بالتقادم، ورفض الرئيس مبارك أن يعفو عن بطل رفع بانتصاراته رأس مصر والأمة العربية، و جعله سجينا فى

وطن بطولاته، وحرمه التكريم ورفض تعويضه عن بطولته التاريخية في حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

ليقضي «الشاذلي» ثلاث سنوات قادمة من حياته داخل مستشفى السجن الحربي في وطنه مصر! ليصبح بذلك أول رئيس أركان في الجيش يحمل رتبة فريق ويزج به إلى السجن ظلما وبدون محاكمة، وليصبح «الشاذلي» بذلك حالة خاصة في عقوبته كما كان حالة خاصة في انتصاراته، ولكن ما أثار دهشة «الشاذلي» وقتها في لغز القبض عليه أن خلافه مع السادات كانت له مبررات، أما موقف الرئيس مبارك فلم يكن واضحا «للشاذلي»، فلم يحدث أي صدام بينه وبين مبارك من قبل يدفعه إلى سجنه والانتقام منه على هذا النحو، وطوال مدة خدمة «الشاذلي» بالجيش كانت تربطه بمبارك علاقات طيبة، فلماذا ماحدث؟ ولما لم يجد إجابة مقنعة استسلم «الشاذلي» لقدره للحكم الصادر ضده بدخول السجن ظلما.

في سجنه: الشاذلي مريضا برغم أنفه

فور دخول «الشاذلي» إلى السجن في المستشفى الحربي ندد د. محمد حلمي مراد في مقاله (حياة الشاذلي أمانة في عنق مبارك) بالإجراء الذي اتخذته السلطات عند دخول «الشاذلي» المستشفى الحربي ليقضي بها مدة حبسه (ثلاث سنوات) وكأنهم جعلوا منه مريضا برغم أنفه

وكان الإجـراء هو إخلاء مبنى المستشـفى الحربى! ذلـك المبنى المكون من دورين يتسـعان لنحو مائة سرير تم إخلاؤه من جميع العاملين فيه والمرضى الموجودين حتى يصبح «الشـاذلى» وحيدا فى هذا المبنى الكبير كنـوع من الترويع له، ومع افـتراض أن هذا الوضع لا يقصد منه إلحاق الضـرر «بالشـاذلى» إلا إنه يُدخل الانزعاج عليه وعلى أسـرته، وحذر د. محمد حلمى فى مقاله من أنه إذا حدث مكروه «للشـاذلى» من جراء الإخلاء فى مثل هذه الظروف فإنه لا يمكن إلا أن يكون مؤامرة مدبرة، وأن المقصود بهذا الإجراء ترويع الشاذلى وأسرته وأصدقائه ومحبيه وهو عمل يعاقب عليه قانون الإرهاب، ووضع صاحب المقال حياة «الشـاذلى» وسلامته داخل السجن أمانة فى عنق الرئيس مبارك.

وكان اللواء أشـرف راشـد قد تولى وقتها رئاسـة إدارة مستشـفى السـجن الحربى وقت تنفيذ عقوبة «الشاذلى» وأصبحت مهمته متابعة تنفيذ «الشـاذلى» للوائح داخل السجن، وهى نفس اللوائح التى وضعها «الشاذلى» من قبل وكان اللواء أشرف راشد واحدا ممن عملوا تحت قيادة «الشـاذلى» من قبل أثناء حرب الاسـتنزاف فماذا قال عن إجراء إخلاء المبنى من نزلائه المرضى:

«هذا الإجراء تم بأمر من المشـير حسـين طنطاوى تكريما وتمييزا للشـاذلى وليس ترويعا له كما أشيع وقتها، وذلك بعدما رأى المشير أنه لا يليق بالفريق «الشاذلى» أن يقيم مع المخالفين والمجرمين»

ولكن كيف قضى الفريق «الشـاذلى» هـذه الفترة الحرجة من حياته مسجونا؟

واسترسـل اللواء أشرف راشد يحكى عن حياة «الشاذلى» فى السجن فيقول:

كان الفريق «الشـاذلى» رجلا قويا وعسكريا ملتزما، استطاع كعادته أن يتكيف مع حياته داخل السـجن باهتماماته الكثيرة، والتزم بلوائح كان قد وضعها بنفسه من قبل، وقت رئاسته لأركان الجيش.

ولم يدخل الشاذلى زنزانة سجن كما تصور كثير من الناس ولا عاش خلف قضبانه، بل إن المشير حسين طنطاوى شخصيا قد أوصانى بالقيام على راحة الفريق «الشاذلى» وأمر بأن يقيم فى جناح كبير فى المستشفى الحربى، لتهيئة إقامة مريحة له طوال فترة سـجنه، فلم يكن الفريق «الشـاذلى» يُعامل كسجين بل كضيف لمدة اسـتضافة محددة، وبأمر من المشـير طنطاوى تم تجهيز حجرته بأثاث خشـبى كامـل ومميز وكان بحجرته حمام خاص ومكتب وثلاجـة خاصة وتليفزيون، ولما لاحظنا توافد الكثيرين لزيارته فى سـجنه خصصنا حجرة لاسـتقبال ضيوفه لكثرتهـم، فكان كثير من الضباط والجنود والقادة يقومون بزيارته وفاءً لقائـد صنعـوا تحت قيادته النصـر لمصر، وكان من بين زواره حسـين الشـافعى وعبدالقادر حـاتم وأحمد حمـروش، وكان بحجرته جرس ليستدعى به الحرس الخاص به لتلبية مطالبه وقتما يشاء.

ولازال الحديث للواء أشرف راشد فيقول:

لم تتغير عادات «الشاذلى» اليومية طوال مدة إقامته بالسجن، فكان مثـالا للالتزام والانضباط، يبدأ يومه كعادته مع الفجر للعبادة (الصلاة وتـلاوة القرآن) ثم يقوم بعمل التمرينـات الرياضية اليومية فى حجرة الرياضـة المواجهـة لحجرته والتـى تم تجهيزها خصيصا له حسـب طلبه، وكان من فرط دقته يستخدم الميزان قبل وبعد استخدامه للعجلة الرياضية لحسـاب الفاقد من وزنه بدقـة، وكان يلتزم بنظامه الغذائى الصحى ويحـرص على تناول وجبات خفيفة وصحيـة ومياه معدنية، وبعـد الإفطار يطالـع الجرائد اليومية ليتعرف مـن خلالها عما يدور مـن أحداث فى مصر، وكانت مطالعته للجرائـد غاية فى الدقة، فكان يضع خطوطا بقلمه تحت أخبار معينة، خاصة مؤشرات البورصة التى كانت تكشـف له عن الحالـة الاقتصادية فى مصـر، وكانت له علاقة وطيدة بالمصحف وكان يحرص عند تلاوته على اسـتخدام الورقة والقلم ليسـتخرج آيات لها دلالات خاصة لديه ويسـجلها فـى أوراقه ليمكن الرجوع إليها والاستدلال بها فى كتاباته.

ولازال الحديث للواء أشرف راشد فاستطرد يقول:

واسـتفاد «الشـاذلى» من مدة حبسـه ليحقق رقما قياسـيا فى ختم المصحـف ٧٠ مرة خلال عام ونصف العام قضاها فى محبسـه، وحرص «الشـاذلى» على حفظ القرآن خاصة السـور الطويلة منـه، فكان يقرؤه

للعبادة والتدبر والتفكر والدراسة، فاستفاد من مدة حبسه بزيادة قربه من الله.

وبالرغم من كل هذه المزايا فإن الفريق «الشاذلى» لم يكن يشعر بالأمان، ولم يفارقه هاجس الإجهاز عليه ومحاولة قتله، لذا كانت تعليماته بعدم تغيير الحرس الخاص به إلا بإذنه، حتى لا يندس جديد بينهم بحجة حراسته لينال منه، وطلب منى تشديد الحراسة على البوابة الرئيسة، وكان يصعد أحيانا فوق سطح السجن ليعرف المنافذ التى يمكن أن توصل إليه من سيسعى لقتله إلى حجرته إذا صح ظنه.

وكان المشير طنطاوى قد أوصى للفريق «الشاذلى» بالاستعانة بالمستشار الطبى المعالج للمشير إذا ما احتاج الفريق «الشاذلى» لطبيب، ولكن الفريق «الشاذلى» كان يحب العدل فى كل شىء ويرفض التمييز، فعندما أصيب بآلام فى أسنانه قام طبيب الأسنان دون علم «الشاذلى» خلال أسبوع واحد بنقل معدات عيادته الخاصة إلى حجرة خاصة بالسجن لتصبح جاهزة خصيصا لعلاج «الشاذلى» فقط، وقام بتعقيمها، وساعدته إدارة السجن بإعداد حوائط الحجرة وتجهيز أرضيتها حتى أصبحت عيادة الأسنان الخاصة جاهزة لاستقبال «الشاذلى» وإذا به يغضب من هذا التمييز ويرفضه وطلب أن تتم معه الإجراءات المتبعة مع أى سجين والتى وضعها «الشاذلى» من قبل عندما كان رئيسا للأركان فأعاد الطبيب

معداته إلى عيادته بالعباسية، وكان الحرس يرافق الفريق «الشاذلى» في ذهابه وإيابه إلى طبيب الأسنان خارج السجن تطبيقا للإجراءات المتبعة مع أى سجين عادى.

ولازالنا مع حديث اللواء أشرف راشد:

فى ليلة من الليالى وفى ساعة متأخرة من الليل حوالى العاشرة والنصف مساء قام محامى الفريق «الشاذلى» جلال الديب مع لواء من رئاسة الجمهورية بزيارة «الشاذلى» بحجة تفقد أحواله والاطمئنان على راحته ! ولكن الفريق «الشاذلى» طلب منى حضور المقابلة فعرفت أن حقيقة هذه الزيارة فى هذا الوقت المتأخر من الليل هى محاولة إقناع «الشاذلى» أن يكتب للرئيس مبارك بخط يده التماسا للعفو عنه وكان الطلب مفاجأة «للشاذلى» فرفضها فى إصرار. وطالت محاولات الزوار إقناع «الشاذلى» حتى امتدت لساعات الفجر، ولكن «الشاذلى» ظل على عناده فى الحق يرفض ويرفض، فقد كان شعوره بالظلم عظيما لايداويه أى عفو (إلى هنا انتهى حديث اللواء أشرف راشد)

ربما لم ينس مبارك أنه كان يوما تحت رئاسة «الشاذلى» رئيس الأركان يتلقى منه الأوامر العسكرية ليقوم بتنفيذها، والآن دارت الأيام على «الشاذلى» وأصبح تحت رحمة مبارك، فأراد مبارك من «الشاذلى» أن يستجديه فى طلب العفو، علاوة على أن مبارك لم ينس للشاذلى خلافه فى الرأى معه حول موقف مصر من حرب الخليج فى ١٩٩١م .

وأمـام اعتزاز «الشـاذلى» بنفسـه ويقينه من أنه علـى الحق رفض وبإصـرار أن يكتب مثل هذا الالتماس وهـو برىء، ليفوت على مبارك فرصة جرح كبريائه والانتقام منه، ورفض «الشـاذلى» رفضا شـديدا أن يُذل نفسـه ويتنازل عـن كبريائه ويطلب العفو مـن ظالمه وهو برىء، فيكفـى «الشـاذلى» أن مبارك سمح بإلغاء صور «الشـاذلى» من بين صور أبطال حرب أكتوبر وسمح بتبديلها بصور مبارك، وكثير من المحاولات لطمس تاريخ «الشـاذلى» وانتصاره العسـكرى العظيم فى حرب أكتوبر والتى كشفت عن رغبة مبارك فى إزاحة «الشاذلى» عن أضواء النصر .

ويعود اللواء أشـرف راشـد ليحدثنا هذه المرة عـن يوم الإفراج عن «الشاذلى» فيقول:

جاء قرارالعفو عن الفريق «الشـاذلى» فى ٥ / ١٠ / ١٩٩٣م بمناسبة أعيـاد أكتوبر وبعد قضائه نصف مدة العقوبة (عام ونصف العام) كانت قد مضت على سـجنه، ويوم الإفراج ينتظره كل سـجين إلا «الشـاذلى» لم تفرحـه فرحة الإفـراج المتوقعة ! لأنه لم يكن عفـوا خاصا للفريق «الشـاذلى» بل كان عفوا عاما مع باقى المسـاجين لحسـن السلوك وقضاء نصـف المدة، فلم يداو ذلك العفو جـرح ظلمه ولم يعيد الحق إلى نصابه على النحو الذى أراده «الشاذلى». (انتهى بذلك حوار اللواء أشرف)

فهل كان يليق بقائد عسكرى فى قامة الفريق «الشاذلى» بعد ما لاقاه من ظلـم وانتقام أن يأتيه العفو عاما مع باقى المسـاجين؟ هل يسـتوى الأبطال بالمجرمين والخارجين على القانون؟

وأخيرا خرج النسر من محبسه، خرج ليبدأ حياة جديدة يتنسم فيها الحرية في وطنه، ولم يثنه الإفراج عن تراجعه عن موقفه من السلطة حتى إنه أجرى في يوم خروجه حوارا مع جريدة الشعب أكد فيه ثباته على موقفه وإصراره على الدفاع عن قضيته.

وأعتقد أن ما كان يُقلق الرئيس مبارك وقتها من الفريق «الشاذلي» هو إصراره الشديد على إظهار الحقيقة، فتجاهل مبارك تكريم الفريق «الشاذلي» في الذكرى ٢٥ لنصر أكتوبر مع قادة القوات المسلحة! كما منع عنه (نجمة الشرف) وما يتبعها من مزايا مادية له ولأسرته حتى بعد العفو.

وأحسب أن الفريق «الشاذلي» كان ثروة قومية لم يُحسن نظام مبارك استخدامها لصالح مصر بعد عودته للوطن، واختصر تاريخه العسكري المشرف في خلافه مع الرئيس السادات، فلم يخسر «الشاذلي» شيئا بسجنه بل زاده الظلم قوة على قوته وخسرت مصر رجلا من خيرة رجالها وعبقرية عسكرية نادرة كان يمكن أن يضيف الكثير لوطنه فكيف ودع الفريق «الشاذلي» متاعبه هذه المره ليبدأ حياته الجديدة؟

❑❑❑

الشاذلى يضع خطة مدروسة لرحلة الحج

أثناء عمله سفيرا لمصر فى البرتغال سافر الفريق «الشاذلى» إلى ألمانيا لشراء سيارة مرسيدس وحملها معه إلى مصر عند عودته فى مارس ١٩٩٢م وصادرتها الجمارك حتى فوجئت أسرته ببيع هذه السيارة فى المزاد، عن هذه الواقعة تقول شهدان الشاذلى:

«قام والدى بشراء هذه السيارة عام ١٩٧٦م عندما كان سفيرا لمصر بالبرتغال وسافر بها إلى أسبانيا لعقد مؤتمر صحفى انتقد خلاله اتفاق كامب ديفيد، وكان والدى يتنقل بها بين العواصم التى عمل بها، وأخذها معه إلى الجزائر وظل محتفظا بها حتى عودته إلى مصر فى ١٩٩٢م، ووقتها صادرتها الجمارك المصرية وطالبت بجمرك أكثر من ثمن السيارة ولذا ظلت السيارة فى الجمرك حتى عام ١٩٩٥م، فتبرع بها والدى للقوات المسلحة فطلبت الجمارك من القوات المسلحة دفع جمارك السيارة ولما لم تدفع القوات المسلحة فبقى الحال على ما هو عليه، حتى عرفت من إحدى صديقاتى أن السيارة معروضة للبيع فى مزاد فذهبت للمزاد واشتريتها بـ ٦٠ ألف جنيه برغم أن ثمنها كان ٤٠ ألف جنيه، والحمد لله أن المزايد أمامى فى المزاد لم يكن يعرف أهمية هذه السيارة بالنسبة لى، ولم يعرف أن السيارة تخص الفريق سعد الشاذلى ولم يعرف أيضا أنى ابنته».

وبعد خروجه من السجن عاد الفريق «الشاذلى» كعادته يمارس نشاطاته المختلفة ويستمتع بحياته، بدأها فى بلدته «شبراتنا» فى الغربية حيث بدأ بإعادة بناء بيته هناك على الطراز الحديث، وأقام مسجدا ومصحة ومشروعات أخرى خدمية لأهل بلدته، وظل محتفظا بنشاطه الذهنى وذكائه المتقد لآخر لحظة من حياته، فكان يضع لكل مشروع خطة حتى العزومات الكبيرة التى كان يقيمها للعائلة فى المناسبات كان يضع لإتمامها خطة بحسابات دقيقة يحدد فيها أصناف الأطعمة والمشروبات بما يلزم لعدد المدعوين بدقة متناهية، وكان يضع خطة لتوزيع ذبيحة عيد الأضحى بالعدل بين فقراء بلدته، وكان يهتم فى هذه المرحلة من حياته بلقاءات الأهل والأقرباء لتوطيد صلات الأرحام، وعلى الجانب الآخر كان يتلقى دعوات حضور مؤتمرات ويكتب مقالاته فى صحيفة الشعب معلقا فيها على ما يجد من أحداث على الساحة العربية، وكانت بعض مقالاته تحمل تلك العناوين:

«إلى الذين يرقصون على أنغام العدو»، وعنوان آخر «لا أخشى على مصر من السودان»، وعنوان ثالث «بنود كامب ديفيد تمكن إسرائيل من احتلال سيناء فى ٢٤ ساعة» وحوارات أخرى حول ذكرياته العسكرية فى الحروب التى شارك فيها.وكان الفريق «الشاذلى» كاتبا بارعا يملك أدوات الكتابة وبراعة التعبير، وكانت له مؤلفات بعد مذكرات حرب أكتوبر (الخيار العسكرى العربى، الحرب الصليبية الثامنة)،

وكلها مؤلفات عسكرية كانت نتاج خبرته العسكرية، أما كتابه أربع سنوات فى السلك الدبلوماسى فسجل فيها ذكرياته وخبراته الإنسانية وعلاقاته الدبلوماسية.

وظل على حاله ونشاطاته حتى وصل فى ١٩٩٩م إلى عمر ٧٧ عاما وأراد وقتها أن يجدد عهده مع الله بأداء فريضة الحج للمرة الثانية من حياته، وصحبه فى رحلته إلى السعودية وقتها حفيده الشاب معتز عبد الرحمن، الذى قال عن ترتيبات جده «الشاذلى» للحج:

كعادة جدى فى الترتيب لكل شىء بالدراسة والتخطيط وترتيب التفاصيل الدقيقة ووضع خطط دقيقة لكل شىء، قام بالترتيب لرحلته إلى الحج قبلها بشهر، فبدأ يزيد من مدة تدريبه اليومى على المشى لإكساب عضلاته المرونة اللازمة للجهد المطلوب بالمشى لمسافات طويلة فى أداء مناسك الحج، وقام بدراسة خريطة لمواقع الحج فى منى وعرفات ومزدلفة ومكة والمدينة المنورة لتحديد المسافة التى تفصل بين هذه المدن بعضها البعض لتحديد الزمن اللازم لقطعها، واضعا فى حسبانه كل الظروف الطارئة والمتوقعة مثل زحام الطريق أو تعطل الأتوبيس، لكل شىء عنده حسابات غاية فى الدقة جعلته يحدد كمية الطعام اللازمة له أثناء التنقل بين هذه الأماكن المقدسة حسب طول المسافة، وكانت وجبته الخفيفة اليومية لا تتغير مهما تغيرت ظروف الإقامة حفاظا على وزنه حتى لا تُعيقه زيادة الوزن عن أداء المناسك.

حتى عدد خطواته من محل إقامته إلى الحرم حتى وصوله إلى الكعبة كان يحسبها بدقة واضعا فى اعتباره زمن الخطوة البطيئة بسبب الزحام حتى فى مِنىً مكان رمى الجمرات عندما حسب المسافة ووجدها تفوق قدرته وكل حفيده «معتز» فى رمى الحصى له تجنبا لمعاناة قد تفوق طاقته. وكان يجرى دراسة مقارنة بين الحج الأول فى شبابه والحج هذه المرة ليجد أن الفرق بين الرحلتين هائل خاصة أنه طاف فى رحلته الأولى حول الكعبة على حصى ساخن كان يلهب أقدامه.

ويضيف الحفيد المهندس معتز عبد الرحمن:

كان المثل الأعلى للفريق «الشاذلى» بعد النبى - صلى الله عليه وسلم - هو أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) فى عدله وحسمه وصرامته ودفاعه المستميت فى الحق، وفى حرصه على إقامة قواعد راسخة لدولة المسلمين، واختيار الأصلح للمسلمين حتى ولو كان ضد مصالحه الشخصية، و من المواقف التى لفتت انتباه «الشاذلى» فى شخصية عمر ابن الخطاب هى توقيره للقرآن وحرصه على حفظه، فلما وجد صعوبة فى حفظ القرآن قرر ابن الخطاب أن يحفظ سورة البقرة أطول سور القرآن واحتفل بهذا الإنجاز وقدم فى احتفاله الذبائح. كل ذلك كان موضع إعجاب الفريق «الشاذلى» حتى إنه كان يتسابق مع حفيده فى حفظ بعض سور القرآن فى الحج، وكان مصحفه مميز بامتلائه بعلامات وتسطيرات بقلمه الرصاص يستدل بها فى الحفظ والتلاوة، واستغل فرصة الحج لمراجعة القرآن مع حفيده.

وبالرغم من أن جـدى كان بملابس الإحرام فإن الكثير من الحجاج المصريـين والعرب والدعاة تعرفـوا إليه وتجمعوا حوله يسـألونه عن أسـرار خلافه مع الأنظمة السياسـية فى مصر، ويطلبـون التقاط صور تذكارية معه، فكان يرفض المطلبين حتى لا يضيع جهده وطاقته بعيدا عن التركيز فى المناسك، مهمته الدينية التى جاء من أجلها.

ولازال الحديث للحفيد معتز عبد الرحمن:

وعـاش جدى الفريق «الشـاذلى» سـنواته الأخيرة بنفس حماسـه المعتـاد، وكان يـرى أن الدنيا برغم همومها ومتاعبهـا إلا إنها مليئة بالمهام الأخرى المتعة، فكان كلما انتهى من مهمة صنع لنفسـه مهمة جديـدة تضيف إنجازا جديدا إلى حياته، فـكان يهتم بأرضه الزراعية وأحـوال الفلاحـين القائمين على زراعتها، وكان يشـترك فى مجلات أجنبية عسـكرية ويهتم بمتابعة ما ينشر فيها من معلومات عسكرية، إلى جانب نهمه فى قراءة الجرائد اليومية المصرية والأجنبية. (انتهى حديث الحفيد معتز عبد الرحمن)

ولم يدر الفريق «الشاذلى» بعدما امتد به العمر حتى ٨٩ عاما ونالت الشـيخوخة من صحته وبدأ المـوت يقترب منه ليُنذر بقرب رحيله عن الدنيـا، لم يدرِ أن مفارقـات اللقطة الأخيرة من حياته سـتكون أروع خاتمة لرحلته فى الحياة، فماذا رتب الله تعالى للفريق «سـعد الشاذلى» فى وداعه يوم رحيله فى اليوم التاريخى لمصر فى ١١ / ٢ / ٢٠١١م؟

شعب مصر يودع الشاذلى فى جنازة مليونية

كانت المرة الوحيدة التى أعلن فيها البطل الفريق «سعد الشاذلى» استسلامه هى معركته مع المرض والشيخوخة، لم تهزمه الحروب والمعارك ولم يهزمه الظلم الذى وقع عليه ولم تتعبه الغربة وكثرة الترحال ولكن هزمته الشيخوخة بعدما نالت من صحته وقوته، وعندما اقتربت لحظات الرحيل بدأت الأقدار ترتب المشهد الأخير من حياة الفريق «الشاذلى»، قدر الله أن يأتى رحيل «الشاذلى» إلى مثواه الأخير فى الدنيا يوم تغيير التاريخ فى مصر، يوم انتصار ثورة ٢٥ يناير فيما أسماه الثوار بجمعة الرحيل، التى تم فيها رحيل مبارك وتخليه عن رئاسة مصر.

فى هذا اليوم ترجل البطل «سعد الشاذلى» عن جواد إصراره الذى رمح به لسنوات طويلة داخل مصر وخارجها من الهزيمة والانكسار إلى التحدى والانتصار، ليعلن فى محطته الأخيرة استسلامه لمشيئة الله، لم يحدد «الشاذلى» موعد رحيله عن الدنيا ولم يحدد الرئيس مبارك موعد رحيله عن كرسى الرئاسة وتخليه عن الحكم، لكن الله تعالى حدد لكل منهما موعده ليرحل الاثنان كل إلى مصيره فى يوم واحد وكأنه كان يوم القصاص «للشاذلى»؛ ففى الوقت الذى اصطف فيه آلاف المصلين

والمودعين والضباط أبطال أكتوبر خلف جثمان الفريق «الشـاذلى» لتقديم تحية العرفان لقائد ملحمـة النصر فى لحظات وداعه الأخير، اصطف أيضا ملايين الثوار فى الميدان الثائر ميدان التحرير ليؤدوا صلاة الغائب لروح الفريق «الشـاذلى» ويودعوه بكلمات تهز المشـاعر (الله يرحمك يا شـاذلى... أخذنـا بثأرك يا بطل) وكأنهم يعتـذرون للبطل عن ظلم وقع عليـه يوما فى عصر الرئيس مبـارك ، ويعاهدونه على مواصلة الكفاح من بعده.

ولما ارتفـع الجثمان على أعناق رجال الشـرطة العسـكرية وتبعه جمهور المصلـين من رجال الصاعقة والمظلات وأفرع القوات المسـلحة، كان طابـور المعزيـن يصعب فيـه التفريق بين أهل «الشـاذلى» وأقاربه وأسـرته وبين ضباطه من رجال القوات المسـلحة فى جنازة عسـكرية وشـعبية مهيبة والجثمـان يتقدمهم على عربة عسـكرية ملفوفا بعلم مصر، وفى مقدمة المشـيعين عدد كبير من كبار رجال القوات المسلحة، وباقات الورد وحملة الأوسمة والنياشين حتى وصل إلى مستقره الأخير فـى مقبرته، وبعد ذلك بسـاعات قليلة فى نفس اليـوم تم الإعلان عن تخلى الرئيس حسـنى مبارك عن رئاسة الجمهورية وانتقل بعدها إلى مستشفى شـرم الشيخ قيد الإقامة الجبرية هناك... يا سبحان الله وكما تديـن تُدان، تماما كما أجبر الفريق «الشـاذلى» من قبل أن يدخله ظلما مستشـفى السـجن الحربى ليظل فيها قيد الإقامـة الجبرية.... اللهم

لاحـول ولا قـوة إلا بالله، لحظـات قدرية لايقوى علـى ترتيبها بهذا النسق الخارق إلا الله تعالى ولا أعتقد أن الفريق «الشاذلى» نفسه توقع أن يأتى رحيله فى يوم تاريخى فى حياة المصريين وينال فيه هذا التكريم الشـعبى ويودعه المصريون فى جنـازة مليونية مهيبة على النحو الذى تمت عليه.

وتروى شهدان الشاذلى عن برقية عزاء خاصة توقفت عندها وقالت:

«تلقينا من رئاسـة الجمهورية صباح جنازة والـدى وقبل الإعلان عن رحيل مبارك عن الحكم بسـاعات قليلة تلغراف تعزية لنا (أسـرة الشاذلى) يعتذر فيه الرئيس مبارك عن تخلفه عن حضور جنازة الفريق الراحل».

فهل كان الرئيس مبارك يعتذر فى هذه البرقية الحزينة عن حضور الجنازة وحسب؟ أم كان يعتذر للشاذلى وأسرته عما ناله ونالهم من ظلم علـى يد مبارك وفى عصره؟، عندما كان مبارك على قمة السـلطة وكان قادرا على تبرئة «الشـاذلى» ولكنه تعسـف وقتها فى استغلال سلطته وجدد الحكم الصادر ضد «الشاذلى» من قبل ، لم يعف مبارك عندما كان قادرا على العفو ولم يأمر وقتها بمحاكمة عادلة تُبرئ «الشـاذلى» ولكنه أصر على سجن «الشاذلى» ظلما وبهتانا ودون محاكمة. فهل تكفى برقية اعتذار لتضميد جروح أُمَة سُـجن بطلها ظلما فى وطنه ساحة انتصاره؟ وهل تشفع للرئيس مبارك برقية عزائه الآن فى يوم إزاحته من كرسى

الرئاسة بعد أن هلك عنه سلطانه وسلطته؟ وأعتقد أن ظلم مبارك للفريق «الشاذلى» كان سقطة كبيرة ووصمة عار فى تاريخ مصر العسكرى وفى حق الشعب المصرى من الصعب أن يغفرها أى اعتذار.

وظل الفريق «الشاذلى» حالة خاصة من البشر حتى يوم رحيله عن الدنيا فى يوم ١١ فبراير ٢٠١١م. وعبرت مصر عن عرفانها وتكريمها للفريق «الشاذلى» بعد رحيله ومنحته وسام «نجمة الشرف العسكرى» بعد رحيله بأيام فى فبراير ٢٠١١م تقديرا لأدواره البطولية فى خدمة وطنه مصر، كما وافق المسئولون فى نفس العام ٢٠١١م على نشر كتاب «الشاذلى» مذكرات حرب أكتوبر فى مصر والذى كان ممنوعا تداوله فى مصرمن قبل، وفى ٤ أكتوبر ٢٠١٢م أصدر الرئيس محمد مرسى بمناسبة احتفالات أكتوبر قرارا بمنح الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان الأسبق قلادة النيل تقديرا لدوره التاريخى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م وتسلمته أسرته.

وكانت أسرة «الشاذلى» قد طالبت بعد رحيله بالإفراج عن باقى مؤلفاته التى تمت مصادرتها مع كتبه ومقتنياته الثقافية وأوراقه الخاصة وصوره وذكرياته، وإعادة صورته إلى مكانها الصحيح فى صور حرب أكتوبر بين أبطال الحرب والقادة تصحيحا للتاريخ وكان لهم ما أرادوا فى عهد الرئيس محمد مرسى، وشاهد المصريون على شاشات التلفاز فى الاحتفال بذكرى حرب أكتوبر صور الفريق «الشاذلى» فى

أفلام تسجيلية عن حرب أكتوبر مع السادات والقادة العسكريين فى غرفة العمليات ومع جنوده على خط النار حقيقة مسجلة للتاريخ.

وأعلنت وسائل الإعلام فى ١٥ / ١٠ / ٢٠١٢م أن السيدة شهدان الشاذلى قد أهدت مذكرات والدها الفريق «سعد الشاذلى» إلى مكتبة الإسكندرية. وأطلقت القوات المسلحة اسم الفريق سعد الشاذلى على المحور الدائرى بين مدينة العبور ومدينة الحرفيين.

ورحل الفريق «الشاذلى» عن الدنيا وظل اسمه خالدا فى التاريخ العسكرى المصرى والعربى الذى سجل مع بطولاته ظلما عظيما وقع عليه، فالحق أبدا لا يموت والحقيقة مهما غابت لابد لها أن تظهر جلية للجميع بعدما تنقشع من حولها الغيوم. وها هى ذى الأيام تدور لتظهر مع دورتها الحق، وها نحن نكتب عن أمجاد الفريق «سعد الشاذلى» وبطولاته بعدما تحققت توقعاته المستقبلية التى كتبها بخط يده فى مذكراته قبل أن يموت بعشرات السنين فقال فيها :

(أنا واثق أن مصر ستكرمنى فى يوم من الأيام عندما يعرف شعب مصر حقائق وأسرار حرب أكتوبر)

رحم الله الفريق البطل «سعد الشاذلى» وجزاه عن وطنيته وبطولاته وخدمته لوطنه وأمته خير الجزاء.

ملحق الصور

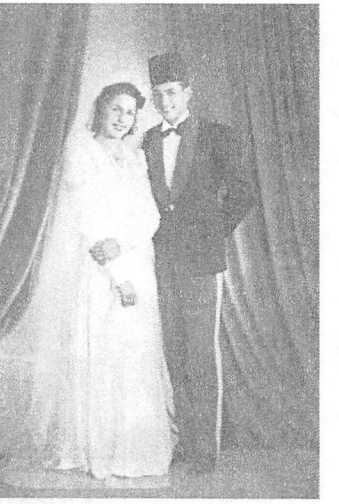

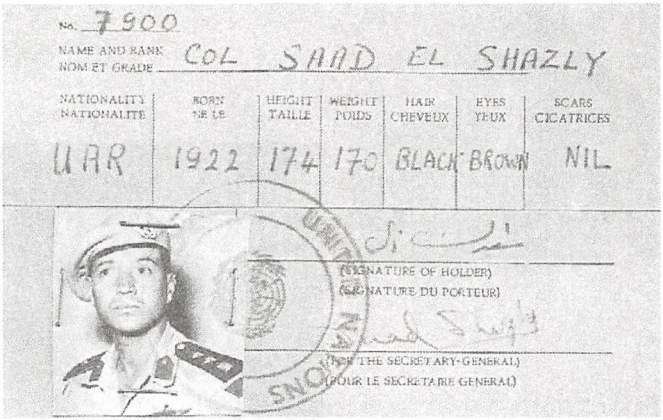

No. 7900

NAME AND RANK / NOM ET GRADE: COL SAAD EL SHAZLY

NATIONALITY / NATIONALITE	BORN / NE LE	HEIGHT / TAILLE	WEIGHT / POIDS	HAIR / CHEVEUX	EYES / YEUX	SCARS / CICATRICES
UAR	1922	174	170	BLACK	BROWN	NIL

(SIGNATURE OF HOLDER)
(SIGNATURE DU PORTEUR)

(FOR THE SECRETARY-GENERAL)
(POUR LE SECRETAIRE GENERAL)

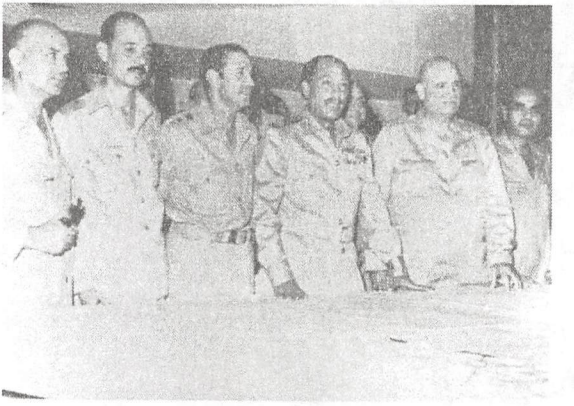

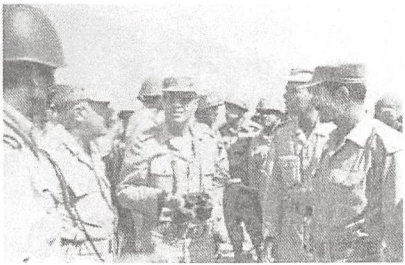

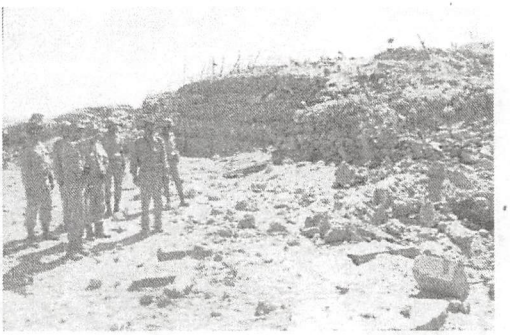

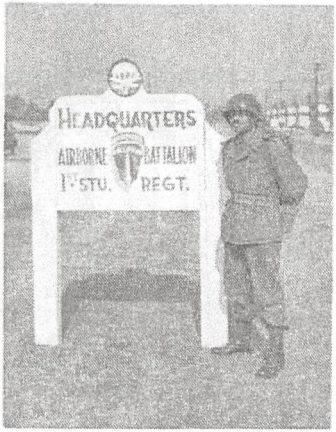
HEADQUARTERS
AIRBORNE BATTALION
1ST STU. REGT.

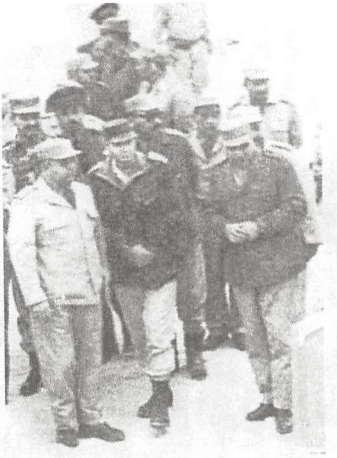

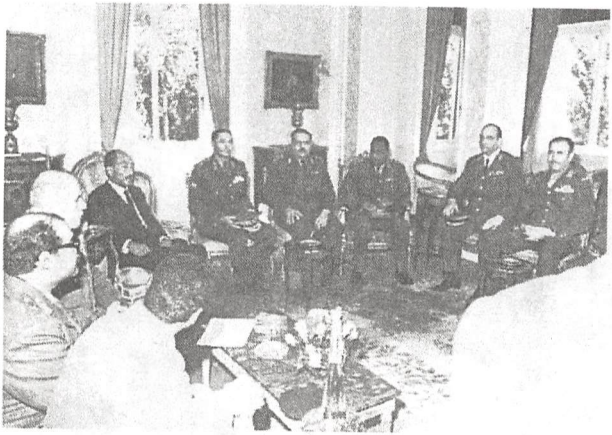

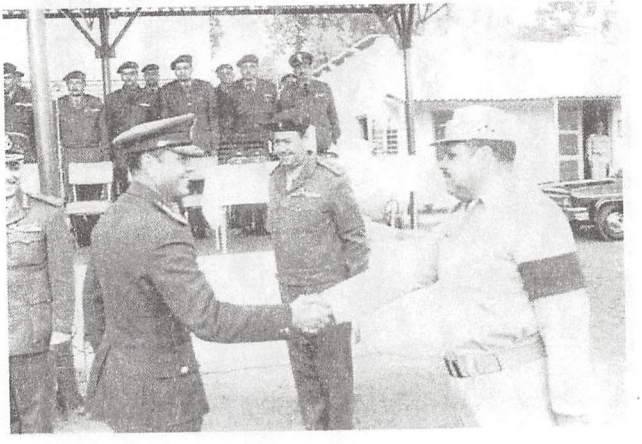

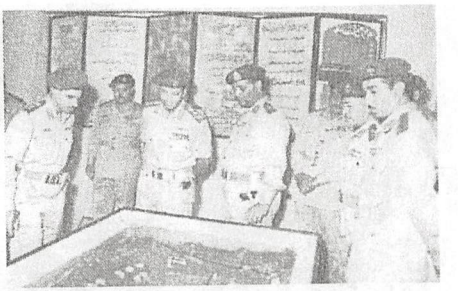

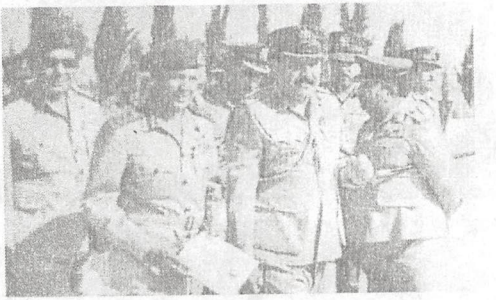

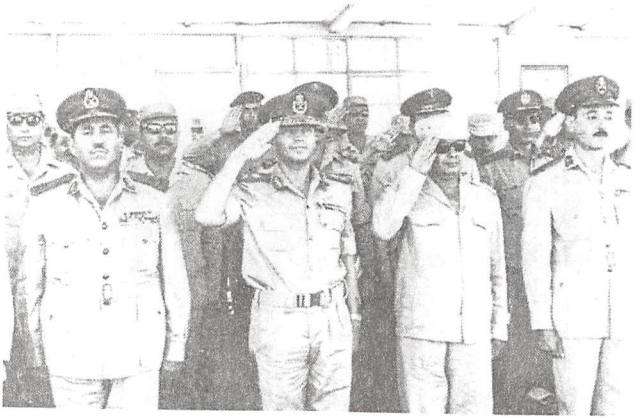

المراجع

- روايات أسرة الفريق الشاذلى كريماته وأحفاده.
- روايات ضباط القوات المسلحة ممن عاصروا الفريق الشاذلى:

الواء د. إبراهيم شكيب.

اللواء أشرف راشد.

اللواء جمال مظلوم.

اللواء محمد التميمى.

الفريق يوسف عفيفى.

العقيد يحيى الشاذلى.

- مقالات وأخبار صحفية عن الفريق الشاذلى.
- الموقع الخاص بالفريق الشاذلى على شبكة الإنترنت.
- (قصتى مع النظام) للكاتبة سوسن أبوحسين.
- (الفريق الشـاذلى وأسـرار الصدام مع السادات)- للكاتب محمود فوزى.
- مذكرات الفريق سعد الشاذلى عن حرب أكتوبر.
- صور الكتاب مهداة من أسرة الفريق سعد الشاذلى.

تم بحمد الله

الكاتبة فى سطور

• آمال محمود البنا كاتبة صحفية بجريدة الأخبار.

• بكالوريوس تجارة جامعة عين شمس.

• عضو نقابة الصحفيين المصريين.

• عضو اتحاد الصحفيين العرب.

• عضو اتحاد الكتاب المصريين.

• عملت فى أبواب الأخبار المتنوعة منها باب حكايات والصفحة الطبية وصفحة المرأة وجميع الأبواب الإنسانية. وكذا الإصدارات المختلفة (آخر ساعة وأخبار النجوم).

• برعت فى القصة الإنسانية وتخصصت فى كتابتها فى بابها الأسبوعى بالأخبار (لست وحدك) .

• مارست العمل التليفزيونى بنشاط متميز فى إعداد برامج ثقافية وسياحية للفضائيات المصرية.

• قدمت عدة أعمال أدبية منها:

«صوت تحبه الملائكة» وتم ترشيحه كعمل درامى فى التليفزيون المصرى.

«رسالة من الجنة» قصة واقعية لها مرجعية دينية أشاد بها فى تقديمها د. على جمعة مفتى الديار المصرية.

رواية «زهرة الخريف» والمجموعة القصصية «قصة وعبرة».

للتواصل مع الكاتبة

«٠١٠٠١٥٦٢٨٦٠»

الفهرس

إهـداء ٠٠٥
تنويه ٠٠٧
سيرة الفريق سعد الدين الشاذلى..... ٠٠٨
قالوا عنه ٠١٢
قبل الرحلة ٠١٣
طفولة الشاذلى بين شبراتنا والقاهرة ٠١٧
مصر فى قلوب المصريين ٠٢١
الشاذلى ضابطا بالحرس الملكى ٠٢٥
الشاذلى قائدا لكتيبة المظلات ٠٣٣
ثلاثة رجال فى بيت الشاذلى ٠٣٧
الشاذلى يحدث أزمة دبلوماسية فى الكونغو ٠٤٣
فى نكسة ١٩٦٧م: الشاذلى ينجح فى حماية قواته من العدو ٠٥٢
حرب الاستنزاف علامة بارزة فى مشواره العسكرى ٠٥٩
إبداعات عسكرية للشاذلى فى البحر الأحمر ٠٦١
الشاذلى رئيسا لأركان حرب الجيش ٠٦٥
مباحثات مثمرة للشاذلى فى الدول العربية ٠٦٩

الشاذلى يضع خطة المآذن العالية ٠٧٤
أعظم أيام النصر فى مصر ٠٧٩
الفريق الجمسى يكشف حقائق جديدة حول الثغرة..... ٠٨٥
إقالة الشاذلى من رئاسة أركان الجيش ٠٩١
مفاجأة مذهلة للشاذلى فى لندن ٠٩٤
المتاعب تلاحق السفير الشاذلى فى لندن ٠٩٨
أنشطة جديدة للشاذلى فى البرتغال ١٠٣
الجزائر تستقبل الشاذلى بحفاوة بالغة ١١٠
الشاذلى ينطلق بنشاطاته فى الجزائر ١١٧
القبض على الشاذلى وسجنه بدون محاكمة ١٢٣
الشاذلى يضع خطة مدروسة لرحلة الحج ١٣٥
شعب مصر يودع الشاذلى فى جنازة مليونية ١٤٠
ملحق الصور ١٤٥
المراجع ١٦٦
الكاتبة فى سطور ١٦٧

اشترك فى سلسلة اقرأ تضمن وصولها إليك بانتظام
الاشتراك السنوى :

- داخل جمهورية مصر العربية ٦٠ جنيهًا.
- الدول العربية واتحاد البريد العربى ٨٠ دولارًا أمريكيًا.
- الدول الأجنبية ٩٠ دولارًا أمريكيًا.

تسدد قيمة الاشتراكات مقدمًا نقدًا أو بشيكات.

بمجلة أكتوبر ١١١٩ كورنيش النيل - ماسبيرو - القاهرة

يصدر قريبا

■ التفكير الجماعى

د. إبراهيم المغازى

رقم الإيداع	٢٠١٣ / ١٤٨٣٠
الترقيم الدولى ISBN	٩٧٨-٩٧٧-٠٢-٧٨٤١-٣

١ / ٢٠١٣ / ٩٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)